

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو العدد ٢٠ ملها

الاعوانات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجدة الأسبوعية للتفكير والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السنول

أحمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦١٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ جادى الأول سنة ١٣٦٤ - ٧ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نهاية دكتاتورين !

عمر ك الله ، أهي نهاية دكتاتورين ، أم نهاية دولتين ،
وعبودية أميتين ، وعبرة الدهر لمن يسول له الحق الأدب أن يطاول
الله في سمائه ، ويصرف الأقدار في أرضه ؟ !

سبحانك ربنا ما أبلغ حكمتك وأعدل حكمك ! كأنما يقضى
عدلك المطلق بين آدم وإبليس في صراع الخير والشر أن ترسل
من الجحيم رسلا للفساد ، كنيرون وجنكيز وهتلر ، كما أرسلت من
الجنة رسلا للصالح ، كوسى وعيسى ومحمد ! وإلا فكيف يتصور
عقلنا المحدود أن رجلا كسائر الرجال ، فيه الخطأ والجهل والعجز
والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة إسحق ، ولا أدب
جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، يستطيع أن يسيطر على ستين مليوناً
من الجنس الأوربي المتأثر ، وأن يسخرهم اثني عشر عاماً في ابتكار
أفزع ما يتصور للنهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات
الدمار ، فابتكروا من المهلكات المعجزات ما لو وجهوه إلى الخير
لممرت الأرض ، وأنفقوا من الأموال والثمرات ما لو سلطوه على
الفقر لسعدت الدنيا . ولو أن هذا الشق وأحلافه فعلوا ذلك
فساعدوا الخير بمبتكرات العلم ، وأشاعوا الفنى ببراءات الإنتاج ،
لنكات رسالتهم أكرم وسيادتهم أعم ومجدهم أخلد ؛ ولكنهم
لم يهبأوا بطبائعهم لهذا الأمر لحكمة يريد بها الله من هذا الكون

العجيب الذى يحيا بالموت ، ويصلح بالفساد ، ويتجدد بالبلى ،
ويقتات بعبئه يبعثه ، ويتربص كله ب كله !

نعم هلك الطاغيتان موسوليني وهتلر في أسبوع واحد بعد
أن ظلا ستة أعوام ينشران الفزع والجوع والموت والخراب
والحداد في كل أمة وفي كل أسرة وفي كل نفس ، دون أن يعم
الناس من كل أولئك عاصم من دفاع أو ملجأ أو بقاء أو حبيبة .
ومن سخر الأقدار أن القوههر الذى كان يدعو إلى النازية في
مشرب من مشارب البيرة في ميونخ ، يُقتل وهو يدافع في برلين
فيهورى على قاعدة مدفع ؛ وأن الدتشي الذى كان يحطبل للفاشية
على ظهر مدفع في البندقية ، يُصرع وهو يضر إلى الحدود فيخر على
صدر موس !! والحق أن هاتين اليتيتين : ميتة الأسد لرعيم
الألمان ، وميتة الكلب لرعيم الطليان ، هما الخاتمان اللذان صاغتهما
الحوادث للزعيمين من معدن الأمتين ليطبعمهما التاريخ على وثيقة
هذه المجزرة البشرية فيرمز بهما إلى نفس كل زعيم وطبيعة كل
أمة ! وفي المجرمين تفاوت في الطباع يدعو بعضها إلى الإكبار
وبعضها إلى الإصغار ؛ ولكن اللص الإيطالى الذى يقتلك خفية
بالموسى ، لا يختلف في رأى القانون عن اللص الأمريكى الذى يقتلك
جبرة بالسدس ؛ وليس في الإجرام تفاضل ولا في الشر خيار .

أبىث هذان المسيخان من ركنين متجاورين من أركان
التمدن الحديث ، فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجمعان الآخرة
للدنيا ، والأمة للفرد ، والعقل للهوى ، والعلم للشر ، والمضارة

فقد كانا يقولان القول ولا يصدقان فيه ، ويمدان الوعد ولا يبران به ؛ لأن الاستبداد بالرأى ينفي التبعة ، والاعتداد بالنفس ينفي الرقابة ؛ والتبعة والرقابة مزيّنات الديمقراطية . ومن ذلك كانت خطب تشرشل وروزفلت وقائق يستشهد بها السياسي ويعتمد عليها المؤرخ . والديمقراطية تنظر إلى الشيء من جهاته الست ، وتلك إلى الغاية طرقها المختلفة ؛ ولكن الطينيان لا ينظر إلى الشيء إلا من الجهة التي تجذبه ، ولا يسلك إلى الغاية إلا الطريق التي تمجبه . ثم يحمل الشعب على رأيه ونهجه بالإرهاب المستمر ، والتعليم السموم ، والتربية الآلية ، والسعاية المشوشة ، فلا يجوز لصوت أن يرتفع بتعريف أو إنكار ، ولا يبنى لأحد أن يقول للقاطرة الرعاء إلى أين تذهبن بالقطار !

الآن ، وقد تحطمت النازية بعد أن تحدّت بجبروتها سنة الله وقوة الطبيعة ، وارتفعت أبدى الأبالسة عن منشأ هذه الرجفة العامة من الأرض ، وأخذت غواشى الليل الطويل تتكشف عن فجر السلام المشرق ، وأوشكت الإنسانية المكروبة أن تجد نَفْسًا من الرجاء وروحًا من الطمأنينة ، وكأن لقادة الحديد والنار أن يتركوا الميدان لساسة الرأي والهوى ، الآن يحمل بالأقطاب الثلاثة أو الأربعة الذين يقررون اليوم مصائر الأيم والشعوب أن يتخذوا لهم من أهوال ست سنين موعظة وعبرة . يحمل بهم أن يذكروا وهم حول الموائد الخضر تلك الميادين المحرّ فتتمثل لميونهم تلك القذائف الجهنمية تذرو أجساد الشباب كما تذرو الماصفة غشاء المشيم ! يحمل بهم أن يذكروا وهم ينعمون بالحفلات الساهرة بعد المناقشات الثائرة ، تلك الدور الحزينة التي خلت من عائلها الكادح ، وفناها الثايل ، وأنسها الأنيس ، وعيشها الآمن ، فترد على خواطرهم تلك المكسي الدامية التي مثلها الحرب في كل مكان ! نعم يحمل بهؤلاء الأقطاب أن يذكروا أنهم أُنقذوا المدنية هذه المرة أيضًا بأعجوبة . وليست الأعاجيب والمجربات مما يُكشف أو يخترع ؛ إنما هي الفرص والمصادفات تسنح أو تبرح كما يشاء القدر . إنهم إذا ذكروا كل أولئك كانوا حريين ألا يقبلوا في مؤتمر الصلح متدوين عن أحباب الجلالة : الاستثنائ والانتعاز وبسط النفوذ ! وإذن يتمتع العالم بسلام طويلة يضمع فيها جروحه ويستأنف بها سيره .

بهمين الزينات

للدمار ، والحياة للوت . ثم خرجت هاتان السحلتان من الكهوف والواخير وانتشرت في جواء برلين وروما انتشار الظلام المضل والغاز الخائق ، فعميت عيون كانت ترى ، وغيبت قلوب كانت تفقه . ثم هتكت النازية أستار الدول بالجواسيس ، وبلبت عقائد الناس بالدعاية ، واشترت ضماير الساسة بالمنى ، وبثت في دخيلة كل أمة دعاء المزعمة وبممارسة النفاق يزيّفون الوطنية في كل نفس ، وعميتون الحمية في كل رأس ، حتى تركت القوم تماثيل من غير خلق ولا روح ؛ ثم رمت جوانب الأرض وخوافق السباء بالوت الوحى في شتى أشكاله وأهواله ، فأصبحت أوروبا الجيلة خليطًا من الأنقاض والأشلاء ، ومزيجًا من الدموع والدماء ، وانبسط الطينيان المحورى على ممالك كانت بالأس مسارح للسلطان والمجد ، فأصبحت اليوم سجونًا للأحياء وقبورًا للموتى . ثم وقفت الديمقراطية من الدكتاتورية موقف الفريسة الرناعة تنظر إلى الناب البارز ، أو الشهيد الصابر ينتظر هوى الحسام المصلت ؛ ولكننا قلنا يومئذ والأمل في النصر كبصيص النارة الخافت على محيط من اليأس يروج بالظلام والموتل : إن الفوز مكفول للديمقراطية ، لأنها هي الصحة التي انتهت إليها جسم الإنسانية العليل ؛ أما الطينيان والبربرية فهما نكسة المرض ؛ والنكسة خلل عارض لا يلبث بحسن علاج الطيب وصدق إيمان المريض أن يزول . وقد صدّق الله هذا القول ، فانهارت النازية على نفسها وأهلها انهيار الطود الأثم فلم تدع خنزوانة في رأس طاغية ولا أملاً في صدر طامع .

والدكتاتورية نظام من أنظمة الحكم الشاذ يقتضيه حال ويستوجبه جيل ويستسيغه زمن ؛ ولكنه كالعلاج بالسّم إذا زاد مقداره قتل . وعيب الدكتاتور الصالح أنه يعرف كيف يتبدى ولا يعرف كيف ينتهى . إنه محمّلة من غير فرملة ، يحمل عليها أمته التلكئة المتخلفة ، ثم ينطلق بها انطلاق الطائرة المطاردة لا يلو على شئ ، حتى إذا غلا في السرعة وأوغل في السير أعياه الوقوف فيفضل في مقارعة سحيفة ، أو يتردى في هاوية عميقة .

والطاغية إذا ركب رأسه تنكر للنصح وتغرد على الشورة . فهو يسكت أقطاب الرأي ليتكلم ، ويؤخر أبطال القيادة ليتقدم . والغالب أنه يحميد القول ولكنه يزور ، ويحسن العمل ولكنه يطيش . وما زلنا قريب عهد بشقشقة هتلر وثرثرة موسوليني ،

دار الترجمة

ونهضة مصر الثقافية

للأستاذ سيد قطب

—»»»»»—

قرأت مقال الأستاذ صاحب الرسالة عن « دار الترجمة » في العدد الأسبق من الرسالة ، ذلك الذى يقول فيه :

« والغريب المحجل أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية . فالتركي مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء المباشرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ، ونشرهما على حسابه ! »

« فإذا أردنا يا معالي الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمل : رفقه بأداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايها ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالياً ما لم يلقح بأداب العالم ؛ والمحكمة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب »

قرأته فإذا هو « بشخص » موقف المكتبة العربية الراهنة من الثقافة العالمية تشخيصاً صادقاً صحيحاً . ولا يكتفى بهذا « التشخيص » بل يصف طريق العلاج ، ثم يتجاوز به إلى وصف الدواء فيقول :

« لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلاله القدر ونباهة الذكر ما للجامعين ، فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ، أو قل : إنها الميدانان المتقدمان وهى مركز التكوين الذى يمدحهما باليرة والخبرة والمدد . ثم يختار لها مشان من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ، فلا يدعون علماء من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها

على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية .

« هذه الدار ستنتقل إلى العربية كل يوم أربعائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوروبا وظهوره فى مصر إلا ريثماً يترجم هنا ويطلع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية » ...

لقد استطردت فى الاقتباس من كلمة الأستاذ ، لأنها واضحة دقيقة وافية ، تحيل ذلك الحلم الضخم عياناً منظوراً ، وتحول هذا المشروع الكبير حقيقة مستطاعة .

استطردت فى الاقتباس لهذا ، ولسبب آخر يعينى ! فالواقع أننى استرحت لهذا التفاؤل الذى يشيع فى كلمة الأستاذ بعد أن بلا من مصر ما بلا فى هذه السنين الطوال . وبعض هذا البلاء كاد يردنى أنا الشاب إلى اليأس من كل رجاء ! ... إلى اليأس من تنفيذ أى اقتراح إنشائى يكلف الميثوليين تغيير « الروتين » اليوى ، والإقدام على المشروعات الضخمة التى لا تسير على مثال سابق ، ولا تطرد على وتيرة معروفة . إن « السوابق » هى التى تحدد طريقة العمل واتجاهه فى الديوان !

وكثيراً ما ابتلع هذا « الروتين » البغيض شخصيات حية مجددة تملأ الدنيا ابتكاراً وتجديداً وهى خارج « القفص الذهبي » حتى إذا آوت إليه لفها اللولاب ، وابتلمها الجو العام ، وعادت « موظفين » . أى آلات تسير سيرة الآلات !

فإذا ظل الرجاء يداعب رجلاً مجرباً كالأستاذ الزيات ، فذلك شماع مضى يمشو إليه أمثالنا من الشبان . وعجيب أن ينبع الأمل من نفوس الشيوخ وأن يتسرب منها إلى نفوس الشبان ، فى هذا الزمان !

فى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف مشروع مهياً لترجمة « شكسبير » وكان مقرراً أن يسند إلى أدب كبير يوثق بحسن قيامه على هذا العمل الضخم . ثم ماذا ؟ ثم تغيرت

لا تنتهى فى الحلقة المفرغة المضروبة !

لم تفكر فى تغيير النظام المدرسى كله ، ولا تجديد عقلية التعليم ، أو على الأقل تغيير طرق الدراسة . لم تفكر فى « النموذج الإنسانى » الذى زید أنت فصل إليه بالتليذ ، لتستطيع رسم الوسائل والأدوات . بل لم تؤلف « مكتبة التليذ » . فهل تريد يا سيدى أن تؤلف « مكتبة الأحيال » ؟ . ألا ما أحلى الآمال !

أما ثن استطاع وزير المعارف الخالى أن يغير الماضى كله ، وأن يقتحم العقبات جميعاً ، وأن ينفذ اقتراح الأستاذ الزيات فليكون أكبر ميدان فى العاصمة أصغر من أن يتسع لتمثاله الخالد . إنه يكون واضح أسس النهضة وضامن بقائها أجيالاً طويلة .

إن النهضة الثقافية فى مصر مودعة بضعة رهوس كبيرة ، ولكنها قانية - مع الأسف - فلئن أودعت بطون الكتب ، ليكون هذا طريقها للخلود ، ولتضمن لصاحبها كذلك الخلود .

وعندئذ نستطيع أن نحرر برامجنا الدراسية من ثير اللغات الأجنبية فى سن مبكرة ، ومن مزاحمة هذه اللغات للغة القومية فى عهد التكوين . وهى مشكلة تواجه واضعى البرامج عندنا ، وتصلطم بقواعد علم النفس والربية المقررة .

وعندئذ يصبح تعلم اللغات ضرورة لمن تستدعى الضرورات العملية فى الحياة أن يتعلموها ، وتصبح المكتبة العربية مصدر ثقافة عالية ككل المكتبات العالمية .

هذا أمل ، وأمل كبير . وما علينا أن نرجو فى تحقيق الآمال ؟

سبر قطب

الظروف السياسية ، فطوى الشروع ، لأن الرجل الذى اختير له لا « يسجم » مع القاعين بالحكم فى ذلك الأوان !

وفى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف أديب كبير جم النشاط متعدد الجوانب ، وكان للترجمة مشروع يقرب من مشروع الأستاذ الزيات ، تقدم به كاتب السطور ، وقيل له : إن المشروع موضع النظر والتفكير ، ثم صب على الرجل سيل من أعمال « الروتين » ففرق وقته كله ، حتى تغيرت الأحوال .

وفى وقت من الأوقات كان على رأس وزارة المعارف وزير يشتغل بالتأليف والترجمة أيضاً . وكان النذور أن يصنع شيئاً فى هذا المجال . ولكن عجلة « الروتين » وتوزيع الدرجات « قد استغرقت وقته مع المقابلات والوساطات والرجاءات ... !

وفى كل وقت مثل ، وفى كل عهد نموذج . وأسباب التسويف كثيرة ، و « القفص الذهبي » لا يسمح بالتحليق والطيران !

لا أريد أن أنبط عزيمة أحد ، ولا أن أطفى الآمال فى صدر أحد ؛ ولكنى أحب أن أصارح الأستاذ المتفائل : إننى قليل الرجاء فى الدواوين . وإذا أسعدنا القدر فى وقت من الأوقات بوزير يقدم على عمل إنشائى كهذا العمل الجليل ، فالتقبلات السياسية بالمرصاد . ولا بد للوزير الجديد أن يجدد ، وأن يبدل ؛ ولا بد أن يجدد من كبار المسئولين موافقة إجماعية على التجديد والتبديل ، كالتى لقيها سلفه سواء بسواء !

أجل لا بد أن ندور فى هذه الحلقة المفرغة ما دام « الروتين » هو الروتين : ما دامت « السوابق » هى التى تحدد الاتجاه ؛ ما دامت روح الابتكار محصورة فى هذه الحلقة المفرغة على نوال الأحيال .

لقد قضينا الآن أكثر من عشرين عاماً منذ حصلنا على نوع من الاستقلال ، تغير وبديل فى مناهج التعليم ، فلم يتعد التبديل والتغيير طول مدة الدراسة وقصرها توزيع المواد المقررة على السنوات الدراسية ، توزيع الموظفين على الناطق أو حندم فى الدواوين ، توزيع الدرجات على أساس أقدمية التخرج أو أقدمية التمين أو أقدمية الدرجة ... ! إلى آخر هذه الدورات التى

إدارة البلديات - مطافى

تطرح بلدية أسبوط بالزايدة العامة
بيع وابور بخارى وسيارتى رش وشاسيه
سيارة نقل وأصناف أخرى مستهلكة
وتقبل العطاءات بالبلدية المذكورة لتاية
ظهر ٣٠ - ٥ - ١٩٤٥ . وتطلب الشروط
منها مجانياً . ٣٤٥١

إلى حامي الإسلام . . .

للأستاذ علي الطنطاوي

—•••—

[جاء في برقيات أسس أن موسوليني قد أسر ، ولو كان موسوليني البطل البليل الذي حارب حتى سقط ، نسيت عداوته وحينما بطوته ، وللبطولة حذا لا يجده كريمة ، ولكن موسوليني دعى ظالم ، وختم ليم ، فذلك وجبنا إليه هذا المقال] (ع ...)

يا من يفتش في الكتب عن العبر ! يا من يبحث في خرائب التاريخ ، تعالوا : فإن ها هنا عبرة ما في التاريخ أجل منها ، وما في الكتب مثلها . تعالوا فشاهدوا واحجوا واعتبروا ... هذا الذي تكبر واتفتخ حتى ما تسعه ثيابه ، وما محتويه جلده ... هذا الذي تطاول وتعالى حتى ما يجد محلا يرتقى إليه . ولا علا فوق علاه ... هذا الذي طنى وبني حتى استلب قراش هيلاسلاسي من تحت ، وطرده من بيته ... هذا الذي تجبر وتمرد حتى ألقى الشيخ المجاهد الصالح عمر المختار من الطائرة فتلقته الأرض ، أرضه وأرض قومه ، أشلاء ومزقاً ... هذا الذي جن من الكبر ، وحم حتى صار يهذي في حماء ، ويثرثر في جنونه ، يقول : أنا حامي الإسلام !

تعالوا انظروا إليه أسيراً ذليلاً ، يقاد إلى الموت ، بأيدي قومه ، قد طار هواء الكبر من جوفه ، فأنحنى واستخذى وهبط من بعد علاه إلى الخفيض ، ونزل من بفاعه إلى القاع ، فمن كان يظن أن موسوليني سيكون أسيراً في بلاده يساق إلى الشنقة ؟

ألا لا يأمن بعد اليوم ظالم ، ولو مد الله له ومنحه قوة وأعطاء مالا . ولا يأسن مظلوم ولو ابتلاه الله فقدّر عليه الضعف وكتب عليه الفقر . ولا يفتحن فيه ملحد فاجر ، فإن لهذا الكون أسساً منتقماً جباراً عادلاً ، يهمل ولا يهمل ، ويمد للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

* * *

٢٤ - ٣٣

يا موسوليني ، يا حامي الإسلام هلم احب رأسك غداً من سيف الجلال . احب احبك من لعنت التاريخ . احب (عظمتك ...) من سخرية الأجيال ، وهزء القرون الآتية ، فإن للإسلام رباً يتخيه ، وإن للإسلام يا أيها الدوتشي ... ولا دوتشي اليوم ! جنداً إن لم يكن لهم (الآن) مثل رصاص جندك الذي لا يقتل ، وسدافهم التي لا تؤذي ، وأسطلوهم الذي لا يحارب ، فإن لهم قلوباً فيها إيمان وسواعد فيها عزم ، ونفوساً لا تهاب الموت . ومن يجمع الإيمان والعزم وحب الموت لا يفلته شيء . وسل إن كنت ناسياً ... سل عنهم بطاح طرابلس ، ويقاع الريف ، وجنات القوطة ، وجبل النار . سل جنود إيطاليا الذين كنت تحفل فيهم خطبك السرحية ... تظن أنك صرت بها قيصراً ثانياً ...

لقد أجاب عليها شاعرنا حافظ إبراهيم ، فقالها كلمة حق وصدق ، كلمة قوة ونبل ، فاسمها إن لم تكن سميتها :

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعهم يملأوا الدنيا كلاماً
نعم لقد امتلأت الدنيا أسس يا دوتشي بالكلام عنك ،
والخفاف باسمك ، باسم موسوليني الأسير الحاني ... فونيثلك هذه الشهرة وهذا المجد !

يا موسوليني ، لقد قوض السرح ، ومزق الستار ، وبدا السكون للعيون ، فإذا أنت وحدك كما قال الرافعي فيهم :

يا أمة النجى والتصوير وبحكم حتى جنودكم الأنصاب والصور
ولقد هدمت الأنصاب ، ومزقت الصور ... وثقت هذه الكرة المتفوخة بآيرة ، فمادت قطعة من جلد ميت ...

* * *

يا من يفتش عن العبر ، هذه عبرة نخذوها ، وأذيعوها ، وأصرخوا بها في أذن كل ظالم ، عله يسمع ويصيح ، ويتعظ ويعتبر ، قبل أن يقضى الله فيه قضاءه فيكون عبرة للمعتبرين . قولوا لهم إن الظلم مرته وخيم ، وإن دعوات الظالم سهام مسمومة ، وإن الدهر دوار ، والأيام دولاب ، وربما عز غداً الدليل وذلل العزيز ، وجاءت ساعة الانتقام ، وويل يومئذ للظالمين .

* * *

يا موسوليني ، وما إياك مخاطب . لقد سرت أقل وأذل من أن مخاطب ؛ ولكن ليعتبر قوم لم يقلوا بعدُ قَلَّتْكَ ، ولم يذروا ذلك . يا موسوليني إنا لانتمت ، وما الشهادة سجيية فينا ، ولكننا ندل على مكان العبرة فيك ، حين نلت جزاءك ... لقد أوكت يداك ، ونفخ قوك ، ففرقت ، فالحمد لله الذي أنقذ الأرض منك وأقر بك عيون من ظلمت ، وأرانا فيك هذا اليوم الأسود^(١) .

اللهم أنعمت نرد ، فإنها لا تزال الأرض تمنع بالظالمين !

على الطنطاوى

القاهرة

حاشية : قضى الله قضاءه العادل في موسوليني الظالم بين كتابة هذا المقال ونشره .

(على)

(١) اقرأ مقالة (فضيحة القرن العشرين) في الرسالة عدد (١٥١)

في ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦

ويا أيها المظلمون ، فرادى وجناعات ، في كل قطر ونحت كل كوكب ، اصبروا ولا تنتقلوا من رحمة الله ، ولا تياسوا من روحه وكونوا معه ، فإن الظالم مهما كبر ، فالله أكبر ، ومهما طالت يده وعلت ، فإن يد الله فوق يده ، ومهما ملك من أمر يومه ، فإن غده وراء باب مغلق ، ومفتاحه عند الله ، وما يدري أحد بماذا يطلع عليه غده .

لقد قال هوجو شاعر فرنسا الأكبر لنابليون بظنها الأكبر الذي تجرأ لما ولده (ملك روما) فقال المستقبل لى : « يا أيها الملك ، إنك تستطيع أن تظفر في أوسترنش ، وأن تفتح فيينا ، وأن تملك العالم ، ولكنك لا تستطيع أن تقول المستقبل لى ، لأن المستقبل يا أيها الملك ، لله وحده ! »

وأنت يا فاتح الحبشة ، وغارى طرابلس ، اخل الآن بنفسك وإياك على خطيتك ، واستعد تلك الخطب ، وفكر في هاتيك الأيام التي كنت تطل فيها من شرفة قصرك ، على أولئك الآلاي المؤلف من الشيوخ السود ، أبطال الفاشست ، فتصرخ فيهم حتى يتمزق حنجرتك ، وتنفجر رثناك ، وهم يجيبون بدوى يهتر له ذلك القصر ... أين هؤلاء الذين أعددتهم ليكونوا عدتك في بنيك على طرابلس ؟ أين ذلك الجلس وذلك الدوى ؟ بجد بنيته في الهواء فضربه الرياح ! يا غازي طرابلس ، لقد كانت فرقة المغاربة من الطرابلسيين وإخوانهم المسلمين أول فرقة وطئت أرضك ، وغزت بلادك ، وطاردتك حتى سقطت في الفخ ، كما تسقط الضبع الخبيثة التي لا تأكل إلا لحوم الموتى لأنها لا تجرؤ على الأحياء ! لا تست الأسد الجريح ، ولا الثمر المبيض !

فكر في ذلك الشيخ الشهيد الذي ملأ مصره كل قلب بنفسك ، وكل عين دماً عليه ، لقد انتقم الله له ، ولكننا لا نريد أن يفعل بك ما فعلت به لأننا أكرم منك أصلاً وفرعاً ، وأنبل خلقاً وطبعاً ، ولأن نينا نهانا عن الشلة ، وأمرنا بالرفق حتى بالحويان فلا نذبحه إلا بشفرة حادة ، فاطمئن فقد أحدث لك الشفرة !

صبري الفاري

الكتب الآتية

ضرورة لثقافة فكرك ولسانك

وحى الرسالة (الثاني) : لمؤلفه أحمد من الزيات ٤٠

آلام قرتر : ٤٠

رفائيل : ٤٠

اطلبها من إدارة « الرسالة »

ومن المكتبات الشهيرة

هشام :

هنا همس من عوامل الحياة ودورات الأحداث ودوافع الأرحام
وهناك همس من عوامل الموت وسكون الأجداث وعمم الرّجاء
والإنسان بينهما لا يسمع ... لأنه لا يسمع إلا بأذنين ...
وهما لا يسمان إلا ضجيج الطبل ورنين الدنيار والكأس .

أما همس الناقد الدائم فله حاسة أخرى تكاد تكون مفقودة
عند الأَكثَرين ... الإنسان بين المهد واللحد ، بين السرير
والنفس ، بين القصر والقبر ؛ ولا يسأل ما هاته العجائب المتضادة
التي ما جاء للحياة إلا ليدركها أو يحار فيها ...

أحاول بهذه الكلمات أن أضخم هذه المسات حتى يسمعها
الذين لا يسمعون إلا بالأذان ، وأن أشق لها طريقاً بين ضجيج
الحياة ... فلقد امتلأت الأذان بالصخب والزّثا ط والعياط حتى
تصدت الرّوس ، وشاقها أن تسمع بعض الألحان الخافتة التي
تفتح عليها آذانها ، وهي في مهد الحياة كما يشوق الرجال أن
يستعيدوا الألحان والأهازيج التي سكبتها الأمومة في آذانهم ...
وقد رأيت الآداب والفنون توشك أن تنساها وتجهل أقدارها
وتغفلها إغفالا ، وشلت بفجيج الطبول وأشكال الفقايع الفانية
وأحاديث الأسمار والمخاصمات والتأجرات في الخطام والشهوات ...

جامع أزهار

أنا جامع أزهار من حديقة الله . وكثيرون مشغولون بجمع
أحطابها وأشواكها .

فلا عجب أن أكون متفائلاً مبتهجا نتيجة ما توحيه بهجة
الأزهار ...

ولا عجب أن آخذ منها وجهها الرفيق الباسم الملون بألوان
جميلة . والذين أخذوا أنفسهم بجمع أحطابها وقشورها وأشواكها
لا شك قد ورثوا من ذلك تسوة وعبوساً وعنفاً وتشاؤماً وغفلة
عن الناية بتواحي الجمال والفن فيها .

فاللهم اجعل حظي دائماً جمع أسرارها من أزهارها وثمارها
وجنبني أشواكها وعبوسها ... !

قلوب مفتحة وقلوب مغلفة

من الذي له عظمة الله ورحمته ولطفه وجبروته وكبرياؤه ، وهو

صـلوات فكر

في محاريب الطبيعة !

الأستاذ عبد المنعم خلاف

أزل وأبدي !

لما تعب الناس من الوقوف على عتبة المهد ، يقولون لكل
قادم : من أين أتيت ؟ والوقوف على عتبة اللحد ، يقولون لكل
ذاهب : إلى أين عزمت ؟ ولم يعلموا من الأزل والأبد علما ، انصرفوا
حين ذهب عنهم ذهول الطفولة إلى القنطرة والجسر الذي وجدوا
أنفسهم فوقه ، يتراكمون عليه ويننون ويتراحمون ويختصمون ،
واتخذوا لهم فلسفة هي وعي الحياة المادية فوق هذه القنطرة وحدها ،
واقترأ التجارب فيها ، ومدوا علمهم في تراب الأرض ورجحها ،
وصار من طيبة تفكير أكثرهم أنهم لا يسألون عن النبأ العظيم
الذي ينبث في السماء والأرض ، ويوجه الأفكار المخلصة للسؤال عنه
ولأنهم ليرقون من الدين الموروث لأنهم لم يحسوا حقيقته في
الأزل والأبد بأنفسهم ، ولم يدركوا بطايرهم التفكير في هذا الوجود
الغريب الذي ليس من طبيعته أن يكونوا هم منه .

لأنهم لا يلتفتون للأزل إلا حين يطرق بابهم مولود . قادم
فيفرحون ويضحكون له ، ولا يتوقفون للأبد إلا حين يودعهم
مودع ميت فيكون عليه .

هم يضحكون للأول لأنه كائن يظهر لهم وينمو ويتفتح
« فيقتنونه » ويملكونه كتاع ...

وهم يكتون على الذاهب لأنه يُستزَع منهم ويختفى ،
ويذكروهم باختفائهم وذهابهم إلى الصير المجهول فيخافون ...

هم لا يتوقفون إلا حين ظهور شيء أو اختفائه . أما استمراره
وحركة حياته فلا يسترعيان انتباههم .

مهما فلسف الحسيون الماديون الذين لا يؤمنون بالغيب فيما
قبل حياتهم وما بعدها ، فإن العقل والطبع لا يقبلان أن يصدر
هذا الكائن العظيم من غير مصدر أزلي عظيم ، ولا أن يذهب إلى
غير مصير أبدي عظيم ، لأنه يوقن أن له في ضمير الكون كله
نسباً عريقاً خالداً !

أفسنا ونقذ ما فرجناه من صور التل العليا وسابع الحياة ! ولم يبق لنا إلا التعلق بيده ، نألفها حيلها ومكرها ليحقق بمكر أهل السوء !
روصوه :

لا وجه يطالني مما أرى في الطبيعة ولا عمد وراءها ... لا وجه واضح المعالم يحدث اللسان مضيء المينين ! إنما هي أجسام غير محدودة ولا مشكلة إلا في النبات والحيوان ... وما عداها فأهراء من التراب والسحاب والحجارة ... وأنصاب من الجبال ، وأغوار من انبساط ... ثم صمت يكتنف الجميع ...

أمد نظري إلى عالم التراب فيقف مصدودا لدى غتبات الباب .. وأمدته إلى السحاب فيضيع في الضباب ... وأمدته إلى النجوم فيرتد حيرا ، وأمدته إلى أغوار الماء فلا يرى إلا خياله .. لا وجه إلا وجه الإنسان ؛ وهذا قريب حاضر ، ولكنه مثلي قاصر ... ووجه الله ، وهذا بعيد جليل لا استطاع التحديق إليه ... طالما وقفت وقوف العاجز المسجون أطلب أن أرى وجهاً آخر غير وجه الإنسان ليحدثني عن أسرار الحياة !

عبد الرحمن فخر

مع ذلك محتقن بكر مخلوق من رعيته ، وبضع عينه عليه ويمنحه ويرشده ؟! إن دور ضمير كل إنسان في جميع الأحيان ... فالمخلصون له المترقبون لجلاله ، الداعوا للكفر فيه ، يفتحون له أبواب ضمائرهم كما أحسوا ناسم رحمة أو عواصف نقمة ! وحينئذ يدخلها سره ، ويلقي فيها ما يشاء ، ثم يتركهم فترات ليفكروا ويقدرُوا ... والمعروضون عنه الغافلون عن جلاله وعلمه ، لا يفتحون له قلوبهم إلا كما يفتح البخيل باب داره .. فلا يحسون قربه ونفاذه إلى ضمائرهم ..
اللياز والارضاء

هل نملك ونحن عجزاء ضعفاء ، غير أن نتعلق بيد الله رب العزة والجبروت قهار السموات والأرض ، وصاحب هذه الدار التي أدخلنا إليها وجعل لنا فيها مثل ما نلذنا ، فاعتدى علينا الظلمة أمام ساحة عدله ، وهو ينظر القاتل والمقتول ؟

هل نملك غير أن نتعلق بهذه اليد القاهرة ، نألفها أن تبتلع بالذين غيروا ما وضعت ، وأفسدوا ما أصلحت ، وشوشوا ما سوتته ، وجرموا الضائف من برها وعطفها المباح ؟ !

لقد عجزنا وذهبت حيلتنا ! وطمست علينا وجوه السبل لتتخذ

مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

يشترك فيها اعلام الباحثين في الفلسفة والاجتماع

تسأف النهضة العلمية في الشرق وتعمل مسائل الفلسفة في تناول الجمع

ضرورية لكل مثقف وباحث

ظهر منها مدينا - الكتاب الثالث

شخصيات ومذاهب فلسفية

للكنور عثمان امين

وسيلظهر قريباً - الكتاب الرابع

الحياة الروحية في الاسلام

للكنور محمد مصطفى هلمى

تمن النسخة من كل كتاب ١٥ قرشاً ماناً فقط عدا البريد يطلب من أصحاب دار أحياء الكتب العربية لاصحابها عيسى البان الحلبي وشركاه

(۳) تفہید ص ۵ وما بعد ۔

عليه اسم الله العظيم . فلما رأى ذلك والده امتعض كثيراً ووجهه على عمله الذي سبب تسويد الجدران وتشويه منظرها . فما كان من الطفل إلا أن أجاب : « نقشت يا والدي على الجدار اسم سلطانك ، ونقشت أنا اسم سلطاني »

نفجّل الوالد من هذا الجواب وأمر بإزالة معالم ما رسمه هو على الجدار (١) .

درس أبو سعيد ، على طريقة ذلك الوقت ، النحو والفقه والتفسير والحديث والشعر وعلم الطريقة ، وحفظ من شعر العرب وحده ثلاثين ألف بيت (٢) ناهيك بشعر العجم . ولما توسم أبوه فيه الخير أخذه إلى أكبر شيخ في بلده وهو الشيخ أبو القاسم الكركاني من كبار المتصوفة وأصحاب الطرق ليتبرك به ولينال على يديه العلم والفوز والسعادة (٣) .

كانت الأحوال السياسية والاجتماعية في هذا العصر سيئة جداً : أمراء يتذبحون على جيف الدنيا ، وسلاطين يتقاتلون على ملك زائل لن يدوم ، ومشايخ يتحاسدون على نعمة لا تساوي شيئاً ، والمحطاط في الخلق إلى أقصى حد ، ونقص في النبل الإسلامية العليا ، وشذوذ في الطبع غريب ، وتكالب على المادة . فرأى الناس أن المخرج الوحيد للخروج من هذا المأزق هو محاربة المادة عن طريق التصوف ، ومجاهدة الدنيا عن طريق الزهد . فنفتحت سوق التصوفة وراجت بضاعتها . ومحّب ألا تنسى بأننا في بلاد فيه استعداد لهذا المبدأ قديم ، والهند وهي عث من أعشاش التصوف تجاوره وقد أمدته وغذته بهذه المادة منذ العصور التي سبقت الإسلام .

وكانت المادة أن ينتقل طالب العلم في ذلك الوقت من مكان إلى مكان طلباً للعلم وبحسباً عن شيخ شهير . وفي ذات يوم وبينما كان الغلام ينادر المدرسة إلى البيت إذا بأحد الفضوليين من المارة يسأله عمادرس وعن الكتاب الذي درس فيه ، وأخيراً عن « ماهية الحقيقة » ولما لم يكن أبو سعيد يعرف شيئاً عن ماهية الحقيقة تشوش واضطرب ، فأجيب : « حقيقة العلم ما كشف عن السرائر » (٤) فأنار هذا الجواب في نفسه شوقاً عظيماً إلى معرفة الحقيقة

والمستشرقون من ذوي التخصص في موضوع التصوف حين يتحدثون عن مشاهير المتصوفة يتحدثون عن أبي سعيد كمثل باور من أمثلة التحررين والقائلين بوحدة الوجود . وكتب التصوف الفارسية تعتبره أمة بنفسه في عالم التصوف ، صاحب مدرسة ورأى . ومن البديهي أن يكون الشخص الذي بحث عنه نمان هو هذا الشخص الذي ذكره سائر المستشرقين وكتاب العرب والفرس (١) وأبو سعيد بن أبي الخير الذي تحدث عنه هذا المستشرق ، والذي تحدث عنه الآن ، هو شخصية مشهورة جداً ؛ وقد بحث عنه المستشرق المعروف إتي (Ethé) في رسالته التي وضعها في عام ١٨٧٨ للميلاد ، والمستشرق الروسي زوكوفسكي (Zhukowski) ناشر كتاب « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد » (٢) ثم المستشرق الثقة في موضوع التصوف الإسلامي الإنكليزي « نيكلسون » (٣) ، والمستشرق (إدوارد راون) في كتابه القيم « تاريخ الأدب الفارسي » (٤) . وهو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير ولد في غرة المحرم من عام ٣٥٧ للهجرة (٧ ديسمبر ٩٦٧ م) في ميهنة وهي مدينة من إقليم خاران بخراسان (٥) وتوفي في ٤ شعبان من عام ٤٤٠ للهجرة (١٢ يناير من عام ١٠٤٩ للميلاد) (٦) ، وكان أبوه عطاراً ، ولكنه كان فناناً موهوباً محبوباً من السلطان محمود الغزنوي ملك غزنة .

يقول فريد الدين عطار : رسم أبو الخير والده أبي سعيد على جدران بيته صورة بديعة للسلطان محمود الغزنوي وهو في وسط معركة حامية الوطيس تحف به فيلته وجنوده على طريقة الهنود في العارك ، فلما أبصر ابنه أبو سعيد هذه الصورة وهو طفل يافع نقش على جدران البيت أسماء الله الحسنى فلم يترك مكاناً إلا كتب

(١) راجع طبقات البيهقي ج ٤ ص ١٠ : الأنساب للسماعي (طبعة جب) ص ٥٥٠ . كتاب لب الألباب ص ٢١٠ طبعة Petrus vettr (أستر دام) . رسالة حوراييه طبعة Zhukovski ص ٤٩٣ . تذكرة الشعراء (طبعة براون) . وتذكرة الأولياء .

(٢) طبخ في بطرسبرك سنة ١٨٩٩ .

(٣) راجع كتابه الشهير Nicholson. The Mystics of Islam London, 1914 Nicholson, Studies in Islamic Mysticism Cambridge 1921 1-76

Broun persian Literature p. 2 (٤)

(٥) راجع لب الألباب ص ٢١٠ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية) مجلد ١ ص ٣٥٢ .

والأنساب ص ٥٥٠ . وطبقات البيهقي ج ٤ ص ١٠ .

(١) راجع تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) راجع تذكرة الأولياء ص ٣٣٤ .

«الرق» فهالك أصحابه عليها واشتراها أحدهم بشرين ديناراً^(١). وأبو سعيد كسائر كبار المتصوفة من أصحاب الحبس الرفيع والخيال، فنان موهوب بطبعه، حلو الحديث، سلس العبارة. كان على رأي أكثر المتصوفة الفرس في مذهب الحلول ووحدة الوجود بل كان من متطرفي أصحاب هذا المذهب في هذه العقيدة. وقد سما خياله في هذا الباب حتى على خيال بازيد البسطامي (المتوفى عام ٢٦١ للهجرة) والحلاج. وقد تحلى في كثير من أقواله عن القيود المألوفة، لم يحد في ذلك حرج ولا غصاصة. والأنبياء وعددهم (١٢٤) ألف نبي كلهم في الدرجة سواء جاءوا لتحقيق شيء واحد هو «معرفة الله» ولكن متى تمت هذه المعرفة عرف الإنسان كل شيء وسقط عنه كل شيء وتساوى لديه كل شيء^(٢). والشرعية هي ظاهر المعرفة، لذلك فهي لا توصل إلى المعرفة لأنها ظاهر الحق جاءت لمن لا يعرف الحق ولم يؤت العلم الصحيح. والسبيل الوحيد الذي يسلك بنا إلى المعرفة هو مسلك (الطريقة). وذلك لا يتم طبعاً إلا بعد جهد جهيد يصل الإنسان في نهايته إلى إدراك (الحقيقة) ثم إلى (النهاية) التي هي فوق (الحقيقة) وهي (المعرفة) التي لا يمكن إدراكها إلا بعد إدراك (علم اليقين)^(٣). ومتى خصص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه في الوجود الحقيقي بحيث اتصل به اتصالاً كلياً أدرك عندئذ (عين اليقين). ومتى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالاً مباشراً (بالمعرفة) التي تشع بنورها على القلوب وتجلي عندئذ أسرار النبوات وحقائق الكتب المنزلة فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط «لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسل»^(٤) وحيث أن القليل من الناس من يصل إلى هذه المرتبة احتاج الناس إلى الأنبياء والوسطاء ليكونوا سفراء بين الحق والناس^(٥).

المركتور جوار علي

البقية في العدد القادم

ولم يزل يبحث عنها حتى وجدها في أروقة الزهاد والتصوفين. اتصل وهو عمرو بالفتية الشافعي أبي عبد الله المصري، ثم تحول إلى أبي القفال، والظاهر أن دراسة الفقه لم تجد في نفسه هوى ومكانة فانتقل إلى «سرخس» وهناك اتصل بصوفي مجذوب هو لقمان السرخسي، وقد أرشده هذا الصوفي إلى صوفي آخر هو «أبو الفضل حسن» تلميذ أبي نصر السراج على طريقة الجنيد البغدادي المتوفى عام ٢٩٧ للهجرة وعام ٩٠٩ للميلاد^(١).

أتقن أبو سعيد مبادئ التصوف واجتاز الامتحانات النفسية الشاقة ونال «الخرقة» من أبي عبد الرحمن السلمي النسابوري (المتوفى عام ٤١٢ للهجرة) وأصبح درويشاً من الدراويش من أهل المسلك والنوق وقطباً من أقطاب التصوف في منطقة خراسان^(٢). والتصوف في نظر أبي سعيد أبي الخير هو «طرح النفس في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والنظر إلى الله بالكلية»^(٣)

وبعد سياحة في البراري والقفار على طريقة الفقراء دامت سبع سنوات لم يبال خلالها بحر أو يبرد عاد أبو سعيد إلى مخالطة الناس ومجالستهم، ونال خرقة ثانية من أبي العباس القصاص بمدينة «آمل» إلى أن حل أخيراً بنيسابور^(٤).

بلغ أبو سعيد منزلة عالية جداً في التصوف، والتف حوله جم غفير من المريدين رأوا في سيرته سيرة الرجل الزاهد الصالح الذي وصل إلى مرتبة الوجد والفناء^(٥). فكانوا يتبركون به ويتباهون عليه. والسعيد منهم من حصل على قطرة ماء من ماء وضوئه ليتبرك بها. حكى أنه سقطت منه قطعة من قشر البطيخ

(١) عطار ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) عطار ج ٢ ص ٣٢٦ وهو صوفي شهيد وقد اشتهر بتفسير القرآن على طريقة الصوفية وله فيه كتاب شهير هو كتاب (حقائق التفسير) ويضمه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣ ص ٢٤٩ راجع أيضاً Journal Asia 1912, 584.

(٣) راجع طبقات السبكي ج ٤ ص ١٠.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٣٥٣ فريد الدين العطار ج ٢ ص ٣٢٧ وما بعد.

(٥) الوجد هو بشارات الحق بالتزقي إلى مقامات مشاهدته. راجع كتاب الترف لذهب أهل التصوف ص ٨٢ (طبعة اربرى). والفناء عدم رؤية المبدء لقطعه بقيام الله على ذلك. راجع اصطلاحات الصوفية الواردة في التوحفات السكية ص ١٧٩. الترف ص ٩٢ الجرجاني ص ١١٤.

(١) دائرة المعارف مجلد ١ ص ٣٥٢. عطار ج ٢ ص ٣٢٧.
(٢) راجع عطار ج ٢ ص ٣٢٤. عن المعرفة راجع الترف ص ١٠١. المعرفة إذا وودت على الرضا والسر عن حائلها كالنفس يمنع شاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها.
(٣) راجع مصطلحات الصوفية ودرجاتهم.
(٤) راجع رسائل ابن تيمية الرسالة الأولى ص ٢٠.
(٥) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ١٧٧.

من تاريخ الأدب الفرنسي

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

—>>><<<—

ولا شيء، كذلك أيضا يضاد الفصاحة الحققة إلا استخدام هذه الخواطر الضعيفة والبحث عن الأفكار الضخمية المنحلة التي لا صلاحية فيها، والتي تشبه أوراقا معدنية مطروقة لا تنال اللسان إلا بفقدان الصلابة، وكلما أفرغنا من هذه الروح الضعيفة اللامعة في مؤلف قل نصيبه من القوة والوضوح والحرارة والأسلوب، إلا إذا كانت هذه ازوج هي الفرض من الموضوع، ولم يكن للكاتب هدف إلا الفكاهة. إن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة ربما كان أصعب من الحديث عن الأمور العظيمة^(١).

لا شيء أكثر مضادة للطبيعة السليمة إلا التنب الذي ينكلف للتعبير عن أشياء عادية أو شائعة بطريقة شاذة أو مبهرجة^(٢)، ولا شيء ينزل الكاتب عن درجته أكثر من ذلك؛ ففضلا عن عدم الإعجاب به يلام لأنه قضى وقتا طويلا في تركيب مقاطع جديدة لأجل ألا يقول إلا ما يقوله كل الناس. هذا عيب النفوس المتعلمة العقيم، فلديها كلمات كثيرة، ولا أفكار عندها. مجال عملها إذا الكلمات، وتخيل أنها كوت فكرا ما دامت قد رست جلا. وأنها قد نقت اللغة في حين أنها قد أتلفتها بتغيير معناها. هؤلاء الكتاب ليس لهم أسلوب، أو — إن شئت أن نقول —

(١) قال جريم Grimm: «من الواجب اعتقاد أن يفون أساف هذه الفكرة الأخيرة ليرى بعض زملائه الجدد الذين لا يستطيعون أن يدعوا أن لهم مجدا إلا مستندا من أنفس ضعيفة برافة. ولكن فكره ليست حقاً، فإن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة فن تخيل صغير، ولا يتحدث عن العظام إلا البقرة. إنني أفضل أن أقول شيئا واحداً ممتازاً طول عمرى على أن أطبع اثني عشر مجلداً في أمور صغيرة. وإنني أحدث عن هذه الأشياء الطائفة التي تجلب للرجل شعرة ضيقة عابرة لأن هناك سواها أيضاً في الفكاهة، لا يستطيع الحصول عليه إلا البقرة».

(٢) يبدو من الغريب أن يفون يفتت بهزجة الأسلوب، وفي الحق أنه لا يفتت إلا حين يعنى قناعة الفكرة ومآلاتها، ولكنه يقبل حقاً — وكان هذا دأبه — أن يكون الأسلوب غنياً مناسباً لفظة الموضوع.

ليس لهم منه سوى الظل. إن الأسلوب يجب أن ينقش بالأفكار، وهم لا يعرفون إلا أن يرمحوا القنطار.

للكتاب الجيدة إذاً يجب امتلاكها ناصية الموضوع امتلاكاً تاماً، والتفكير فيه تفكيراً كافياً حتى يرى الكاتب بوضوح نظام عناصره، ويكونها متناهماً، ويجعل منها سلسلة متصلة فيها كل نقطة تمثل فكرة، وعند ما يأخذ القلم يجب أن يعالج الموضوع بالتوالي مبتدئاً بالنقطة الأولى من غير أن يسمح له بتركها، أو أن يعنى بالناصر عناية غير متساوية، أو أن يضع عنصراً في مكان غير مكانه المحدد له والذي يجب أن يشغله. بهذا تبدو صراحة الأسلوب، وذلك أيضاً هو الذي يجعل منه وحدة، وينظم سرعته، وهو فقط ما يمكن لأن يحصل الأسلوب دقيقاً بسيطاً متساوياً، واضحاً، حياً، متتابعاً.

إذا ضم إلى هذه القاعدة الأولى التي يكفل تحقيقها الموهبة — الرقة، والذوق، والدقة في اختيار التعبيرات، والعناية بالأشياء لا تسمى الأشياء إلا بأكثر الأسماء عمومية^(١) حاز الأسلوب نبلاً، وإذا ضم إلى ذلك أيضاً الاحتراز من أول انفعال والاحتقار لكل ما ليس فيه سوى البريق والنفور الدائم من الإبهام والسخرية، نال الأسلوب رصانة وجلالاً أيضاً. وأخيراً إذا كتب الإنسان كما يفكر، وإذا كان مقتنعاً بما يريد أن يفتح به سواء، أنتج هذا الاقتناع الذي يرتاح إليه الغير، وصدق الأسلوب — كل آثارها، على شريطة ألا يعبر عن هذا الاقتناع الداخلي ببارات حماسية قوية، وأن يكون دائماً، التحرز أكثر من الثقة، والتقل أكثر من التحمس.

هكذا، أيها السادة، يبدو لي وأنا أفرؤكم أنكم حدثتموني

(١) يقصد يقون بالعارة العامة هذه التي لا تميز الصفات المرئية للأشياء، ولكن صفاتها الأساسية الدائمة. وإذا كان يوصى باستخدامها فذلك لأنه يرى أنه عمومية الفكرة تكون الكلمة نوعاً من النبل، ولكن هذه الوصية خطيرة لأن استخدام الأسماء العامة يلقى بنا في الإبهام والنموض، ويجعلنا نضعي بالدقة المؤثرة، وبالحياء في سبيل مجال كاذب، وترك الكلمة الحقة المستخدمة إلى عبارات طويلة، فلا يقال مثلاً: الأسد، ولكن ملك الوحوش، ولا باريس ولكن عاصمة النور؛ وقد هزأ باسكال Pascal من هؤلاء الذين يقتنون الطيبة. والواجب أن نتست برأي بروييه Bruyère الذي يقول: (كل عبقرية المؤلف تنحصر في قوة تعديده وتصويره. يجب أن تصور الحق لتكون كتابتنا طليعة قوية رقيقة.)

الجيدة الكتابة^(١) هي وحدها فقط التي تنتقل إلى الخلف ، وإن كمية المعارف ، وطرافة الأعمال بل وجدة المشكوفات ليست صيانات كافية للخلود^(٢) . وإذا كانت الكتب التي تحويها لا تحدث إلا عن أغراض تافهة ، أو إذا كانت مكتوبة بلا ذوق ولا سمو ولا موهبة ، فسوف تبتلع ؛ لأن المعارف والموضوعات والمشكوفات تشرق بسهولة وتنتقل ، بل وتكتب أيضا بأيد أكثر مهارة . إن هذه الأشياء خارجة عن الرجل ، أما الأسلوب فالرجل نفسه^(٣) وإذا فالأسلوب لا يستطيع سرقة ولا نقله ولا تحريفه ، فإذا كانت رفيعا نبيلًا ساميًا صار المؤلف أيضا موضوعا للانجذاب في كل زمان لأنه لا شيء يبقى ويخلد سوى الحقيقة ، وإذا فالأسلوب الجميل لم يكن كذلك إلا بما يبرزه من عدد لا يفتي للحقائق ، وكل المحاسن العقلية التي به ، وكل التفصيلات التي يتكون منها حقائق بمقدار نعمها ، وقد تكون أعلى عند النفس الإنسانية من هذه الحقائق التي تستطيع أن تكون أساس الموضوع إن السمو لا يستطيع أن يوجد إلا في الموضوعات العظيمة . والشعر والتاريخ ، والفلسفة ، لها كلها موضوع واحد عظيم هو الإنسان والطبيعة ؛ فالفلسفة نصف ونصور الطبيعة ؛ والشعر يصورها ويخرفها ، ويصور الناس أيضا ويمجدهم ويبالغ في أوصافهم ، ويخلق الأبطال والآلهة . والتاريخ لا يصور إلا الناس

(١) لنهم قيمة هذه الفكرة يجب أن نعود إلى التحديد السابق لكتابة الجيدة ، وهو : 'الكتابة الجيدة هي التفكير الجيد والصور الصادق والإبانة المتنازة بحجة مآ' .
(٢) علق على ذلك الأستاذ (رينيه تول) بقوله : إن الأعمال والمعارف والمشكوفات ليست إلا مادة الكتاب الذي لا يأخذ شكلا إلا بالأسلوب الذي يبرز الأفكار ويثبتها .

(٣) هذه البارة مشهورة ، وفي بعض الطبعات الأولى نجد بعض التعريف ، إذ فيها : Le style est de l'homme même أي أن الأسلوب من الرجل نفسه ، وقد يذكر المعنى في كلمات موجزة هكذا : Le style, c'est l'homme أي أن الأسلوب هو الرجل ، وقد يظن معنى تلك البارة أن الأخلاق الشخصية للكتاب تظهر ظهورا قويا في أسلوبه ، ومع أن هذه الفكرة صحيحة في ذاتها لا يقصد إليها ينفون ، بل يريد شيئا آخر ، ذلك أن مادة الكتاب نفسها ليست للمؤلف وحده بل هي مشتركة بينه وبين سواه ، أما الأسلوب فقط فلا يرتبط بشخص الكاتب وهو ملك له ، فثلا مادة كتاب التاريخ الطبيعي وما في من الملاحظات والأوصاف ليس ملكا خاصا لينفون ، بل كان له ساعدون آخرون لهم نصيب من هذه الملاحظات والأوصاف ، ولكن الذي اختص به ينفون ، والذي له وحده هو الأسلوب الذي صاغ فيه كل هذه المعلومات .

وعلمتوني ؛ وإن روي التي تلقت بشراة إلهامات الحكمة هذه رفعت في القفز والارتقاء إليكم ؛ وما أضيعها من جهود . إن القواعد ، كما قلتم أيضا ، لن تحمل عمل الموهبة ، فهي إذا فقدت أصبحت القواعد غير مجدية . فالكتابة الجيدة هي التفكير الجيد والشعور الصادق والإبانة المتنازة مجتمعة معا ، هي أن يجتمع لفرء ذكاء وإحساس وذوق . وإن الأسلوب يتطلب اجتماع القوى العقلية وعمرنها . والأفكار وحدها تكون روح الأسلوب ، وتتناسق الكلمات ليس إلا تابعا ، ولا يمتلئ إلا بحساسية الأعضاء . ويمكن أن تكون لك أذن دقيقة نوعا ما لتجنب تناثر الكلام ، ويمكن أن تمررها وتكملها بقراءة الشعراء والخطباء ، لتندفع بدون وعي إلى تقليد التناسق الشعري والأسلوب الخطابي ، لكن التقليد لم يخلق شيئا ، وتلاؤم الكلمات أيضا ليس أساس الأسلوب ، ولا قوته ، وكثيرا ما يوجد في مؤلفات خالية من الأفكار^(١) .

متانة الأسلوب ليست إلا ملائمة لطبيعة الموضوع ، ولا يصح أن تنال قسرا ، بل تولد تولدا طبيعيا من معنى الموضوع نفسه ، وترتبط غالبا باستخدام العبارات العامة التي تجذب إليها الأفكار . وإذا كان من المستطاع الارتقاء إلى أعظم الأفكار عمومية ، وإذا كان الموضوع في نفسه عظيما ، ارتفعت النعمة إلى المستوى نفسه . وإذا قدمت الموهبة ما يكفي لأن يوضح كل غرض وضوحا تاما مع احتفاظ النعمة بهذا المستوى ؛ وإذا أمكن أن نضيف جمال التلوين إلى قوة الصورة ، وفي كلمة واحدة ، إذا كان من المستطاع أن نبرز كل فكرة في صورة حية محددة تاما ، وأن نكون من سلسلة الأفكار لوحة متسقة ، حية — لم تكن قوة الأسلوب رفيعة فحسب ، بل في غاية السمو .

هنا ، أيها السادة ، يكون التطبيق أفضل من القاعدة ، والأمثلة تفيد أكثر من النظريات ، ولكن بما أنه لا يسمح لي أن أذكر القطع السامية التي كثيرا ما أثرت في لبي قراءة مؤلفاتكم أجد نفسي مضطرا إلى الوقوف عند حد التأملات . إن المؤلفات

(١) فكرة عزيزة لدى ينفون ، فهو يرى أن الأسلوب يجب أن يغير نفسه تبعاً لطبيعة الموضوع ، وينبغي أن يرتفع أو يهبط إلى مستوى المواد التي يعرضها والموضوع الذي يعالجه ؛ وهكذا كان ينفون ظما عندما يكتب في التاريخ الطبيعي ، ويبطأ مستخدماً للألفاظ الشائعة في رسائله إلى أسلافه القريين .

القضايا الكبرى في الإسلام

١٤ - قتل سعيد ابن جبير

الأستاذ عبد المتعال الصعيدي



إذا أردنا أن نصل إلى ما يرضى العدل والإنصاف في هذه القضية الكبيرة ، وجب أن يسير البحث فيها بقطع النظر عن شخصية القتول وشخصية القاتل ، لأننا إذا نظرنا إلى شخصية القتول فسنجد أنه كما قال فيه خفيف : من أعلم الناس بالطلاق سعيد بن المسيب ، وبالحنبل عطاء ، وبالحلال والحرام طاووس ، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبير ، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير . وسنجد أيضاً أنه كان كما قال فيه أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه .

وبصورهم كما هم ؛ وهكذا نعمة المؤلف لا تصير سامية إلا عندما يضع صور أعظم الرجال ، وعندما يعرض أعظم الأعمال وأعظم الحركات ، وأعظم الثورات . وفيما عدا ذلك يقاسى عناء أن يكون جافاً عابثاً ، ونعمة الفيلسوف تسمو في كل حين يتحدث فيه عن قوانين الطبيعة ، والمخلوقات بوجه عام ، وعن المكان ، والمادة ، والحركة ، والزمن ، والروح والنفس الإنسانية والعواطف والانتمالات ؛ وفيما عدا ذلك يقاسى عناء أن يكون غفماً عالياً . ولكن نعمة الخطيب والشاعر ، متى كان الموضوع عظيماً ، يجب أن تكون سامية دائماً ؛ لأنهم السادة الذين يجمعون إلى سمو موضوعهم سمو التصوير والحركة والتخييل^(١) الذي يسرهم ، ولأن من الواجب عليهم أن يعمدوا الموضوعات ويفخموها — يجب أيضاً في كل حين أن يستخدموا كل قواهم وأن ينشروا كل ما تستطيعه عبقريتهم .

أحمد أحمد بروي

مدرس بجلوان الثانوية للبنين

(١) يقصد بالتخييل أنه يتوهم القارئون والسامعون أن الموضوعات العظيمة التي يدعيها الشعر والخطابة .

وإذا نظرنا إلى شخصية القاتل وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، فسجد الناس بكادون يجمعون على أنه كان ظالماً جباراً ، وقد قال ابن خلكان : كان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثها ، ويقال إن زياداً أراد يتشبه بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ضبط الأمور والحرم والصرامة وإقامة السياسات ، إلا أنه أسرف وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يشبه زياد فأهلك ودّخر

وقد نظر الناس إلى هذه القضية متأثرين بشخصية سعيد وشخصية الحجاج فلم يوقفوا كل التوفيق فيها من الناحية القضائية ، ولم يصلوا فيها إلى حكم يرضى القضاء كل الرضا ، ولا يتأثر بعاطفة الحب والكراهة ، وإذا خالفناهم في ذلك فسنعزل إلى حكم في هذه القضية يرضى كل منصف من الناس ، لأنه يراعى فيه كل وقائع القضية من ناحية الحجاج وسعيد ، ويبين تبعه كل منهما في هذه الوقائع .

اضطرب أمر المسلمين بعد قتل عثمان رضى الله عنه اضطراباً كبيراً ، ووقعوا في فتن شديدة كادت تقضي على الإسلام في مهده لولا أن الله كان يهيء لهم فترة من الاجتماع بعد التفرق ، فيمضي الإسلام ظافراً في فترة الاجتماع ، وينظر العقلاء إلى ظفروه فيرضيهم ويجعلهم ينمضون أعينهم على ما في حكمهم من فدى حذراً من التفرق ، وما يجلبه على الإسلام من أكبر الضرر ، وقد جاء الإسلام بجواز ارتكاب أخف الضررين ، وكانوا مع هذا يرضون الله بالنصح الرقيق ، والبعد عن الاشتراك في ذلك الحكم ، وكان من هذا الفريق الحسن البصري رضى الله عنه ، وهو سيد التابعين وأكبر علماء عصره قدراً ، فكان يعتمد عن وظائف الحكم متكرراً له في صمت ، ولا يقصر في توجيه النصح الرقيق للحكام ، وقد شكاه إليه الحجاج ما يجده في مرض موته فقال له : قد كنت نهيئتك أن تمرض إلى الصالحين فليجبت . فقال له الحجاج : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روعي ، ولا يطيل عذابى . فبكى الحسن بكاء شديداً !

أما سعيد بن جبير فإنه لم يعتمد عن وظائف هذا الحكم ،

والإفان إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس، نفعه وما وليته. فكبر ذلك على عبد الرحمن، ثم جمع الناس إليه ودعاهم إلى الخروج على الحجاج فأسرعوا إلى إجابته، وكان أكثرهم من أهل العراق الذين يضررون البغض لبني مروان، ولم يقتصروا على خلق الحجاج، بل خلموا بعده عبد الملك بن مروان، ونادوا بعبد الرحمن أميراً عليهم وانقلبوا في يوم وليلة يذكرون ظلم الحجاج، وظلم عبد الملك بن مروان، وكانت بيعتهم لبند الرحمن: تبايعون على كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلمهم، وجهاد المُحِلِّين، فإذا قالوا نعم بايع. ثم صالح رتييل على أنه إن ظهر على الحجاج فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هُزِمَ فأرادته الجأء عنده، وكان سعيد بن جبير فيمن خرج مع عبد الرحمن وبايعه.

ولاشك أن من ينظر إلى هذه الوقائع يجد أن عبد الرحمن لم يخرج على الحجاج غضباً لله تعالى، وإنما خرج غاضباً لنفسه حين كتب إليه الحجاج يرميه بالهجر والضعف، ويولي مكانه أخاه إسحاق ابن محمد، وقد دفعه القور بنفسه إلى هذا الخروج وهو ليس بأهل لما نصب نفسه له من الإمارة على المسلمين، وقد كان يوجد من الصحابة والتابعين في عصره من لا يذكر بجانبهم، ومع ذلك آثروا السكون للمصلحة، وهدأوا أن الإسلام في حاجة إلى فترة من الهدوء بعد تلك الفتن، ولقد أساء عبد الرحمن إلى الإسلام حين صالح رتييل ذلك الصلح الشائن، وعمد إلى السيف الذي كان يجب أن يُصَوِّبه إليه قصوبه إلى رقاب المسلمين، وأعادها فتنة عمياء كتلك الفتن التي لا يزال الإسلام يعني آثارها إلى اليوم، ولكن الغلظة غلطة الحجاج حين يولي عبد الرحمن هذه الإمارة وهو لا يثق به، ويعرف أنه لا يخلص لأهل دولته، وقد نفعه إسماعيل بن الأشعث فقال له: لا تبعه، فوالله ما وصل جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاية عليه طاعة وسلطاناً، وإن أخاف خلافه. فقال الحجاج: ليس هناك، هول أميب، وفي أرغب، من أن يخالف أسرى، أو يخرج من طاعتي.

وكان على سعيد بن جبير أن يعرف كل هذا، وأن يذكر كل ما كان بينه وبين الحجاج، وألا يمر نفسه وراء أطماع عبد الرحمن

فكان في أول أمره كاتباً لعبد الله بن مُعْتَبَةَ بن مسعود، ثم كتب لأبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري، وقد ولَّاه الحجاج القضاء ففزع أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح للقضاء إلا عربي. وكان سعيد مولى لبني والبسة بن الحارث، وهم بطن من بني أسد بن خزيمة، فاستقضى الحجاج أبا بردة بن موسى الأشعري، وأمره ألا يقطع أسراً دون سعيد بن جبير، ثم جمعه في مُتَّارِهِ وكلهم من رؤوس العرب، وكان الحجاج يعرفه من عهد ولايته على الحجاز، وقد أعطاه في أول ما رآه مائة ألف درهم يفرقها في أهل الحاجة، ولم يسأله عن شيء منها.

وفي سنة ثمانين من الهجرة جهز الحجاج جيشاً لنزول رتييل ملك الترك، وولى عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، وجعل سعيد بن جبير على عطاء الجند، وكان الحجاج ينفذ عبد الرحمن ويقول: ما رأيته قط إلا أردت قتله. وقد سمع الشعبي ذلك من الحجاج ذات يوم، فأخبر عبد الرحمن به. فقال: والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه. وكان عبد الرحمن ينتمي إلى ملوك كندة، فيعتز بنفسه ولا يخضع للحجاج كغيره، وكان يظن التشيع لملي رضى الله عنه كغيره من أهل الكوفة، فأراد الحجاج أن يرسله في تلك الغزوة النائية ليتخلص منه ويشغله بالجهاد وكان قد غزا رتييل قبله عبيد الله بن أبي بكر في جيش كثيف فهلك في تلك البلاد، فسار عبد الرحمن حتى وصل إلى بلاد رتييل فأوغل فيها، وفتح كثيراً من حصونها، فلما حاز من أرضه أرضاً عظيمة، وملاً يده من الفنائم، حبس الناس عن الوغول في تلك الأرض وقال لهم: نسكتي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونرفها، وتجترى المسلمون على طرقها، ثم تتماطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذرايعهم، وفي أقصى بلادهم وممتع حصونهم، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله.

ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد المدو، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم، فلما أتى كتابه إلى الحجاج كتب جوابه: كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى المودعة، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم

في الإمارة والملك ، وهو رجل عالم صالح لا أطاع له في مثل ما يطعم فيه ، ولا يليق به أن يستخدمه مثله في أغراضه ، وما كان أجدره أن يبعد عن الحجاج كما بعد عنه إخوانه من العلماء ، وأن يرفع عن وظائفه وأمواله كما ترفعوا عنها ، حتى لا يكون له حجة عليه في يوم من الأيام ، ولا يؤاخذ بها إذا لم يتم بواجب الإخلاص له عليها وقد جرت حروب شديدة بين الحجاج وعبد الرحمن ، ذهبت فيها دماء غزيرة من المسلمين ، ولو أنها وجهت إلى رتبيل لاستفاد منها الإسلام ، وانتفع منها المسلمون ، ثم انتهت هذه الحروب بانتصار الحجاج ؛ ففر عبد الرحمن إلى رتبيل يطلب أمانه على ما كان بينهما من الصلح ، وهرب سعيد ينتقل في البلاد إلى أن قصد مكة ، فكان هروا ناس أمثاله يستخفون فلا يجبرون أحدا أساءهم ، فلما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة قبض عليهم وأرسلهم إلى الحجاج ، وكان لا يفنو ممن خرج مع عبد الرحمن إلا إذا قال له : أتشهد أن قد كفرت ؟ فإذا قال نعم عفا عنه وإلا قتله ، وهو يرى في ذلك أن من يخرج على الإمام يكون كافرا ، لأنه ورد في بعض الأحاديث أن من مات ولا بيعة في عنقه مات ميتة جاهلية ، وقد أخطأ الحجاج فهم ذلك الحديث ، لأن معناه أنه يموت على مثل ما كان الناس عليه في جاهليتهم ، إذ لم يكن لهم إمام يجمع كلمتهم ، وليس معناه أنه يكون كافرا مثلهم .

وكانت مواقف حرجة قتل فيها كثير من العلماء الذين كبر عليهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وكان لبعضهم لياقة أفقذه من ذلك الوقت الحرج ، كما فعل الشعبي وقد أشار عليه إخوانه ونصحواؤه أن يستدر أمام الحجاج ما استطاع من عذر ، فلما دخل عليه رأى غير ما ذكروا له ، فلم عليه بالإمرة وقال : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا النقام إلا الحق ، قد والله مردنا عليك وحرصنا وجهدنا ، فاكنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فيذنوبنا وما جرت إليه أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد فالحجة لك علينا . فقال له الحجاج : أنت والله أحب إليّ قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ، ثم يقول ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف .

ولم يكن لسعيد بن جبير مثل لياقة الشعبي ، بل اضطرب أمره

حين وقف أمام الحجاج ، ولم يلزم طريقاً واحداً ينفعه في هذا الموقف الحرج ، مع أن الحجاج قد لوّح له بأنه يجب أن يفنو عنه ، فإنه حين رآه قال : لمن الله ابن النصرانية — يعني خالداً — أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه عكة . ثم أقبل عليه فقال له : يا سعيد ، ألم أشركك في إمارتي ؟ ألم أفعل ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك عليّ ؟ قال : إنما أنا بشر يخطئ مرة ويصيب مرة . فطابت نفس الحجاج ونطق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، ثم عاود في شيء فقال له : إنما كنت بيعة في عنقي . فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط أحد طرفي رداءه عن منكبيه ، وقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى . قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجذدت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانياً ؟ قال : بلى . قال : فتتكت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتقي بواحدة للحناثك بن الحناثك ، والله لأقتلك . قال : إني إذن لسعيد كما ستني أي . فأمر به فضربت عنقه ، وإياه عنى جرير بقوله :

يَا رَبِّ نَاكَتَ بِيَعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ وَخُتَابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الْأَوْداجِ
وقد كان على سعيد وقد اعترف على نفسه بالخطأ في خروجه على الحجاج أن يمضي في ذلك حتى يمحق دمه ، وقد قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وما كان له بعد هذا أن يعتذر ببيعته لعبد الرحمن ، لأنه قد اعترف بخطئه فيها ، ولا معنى بعد هذا للاعتذار بها .

وإذا كان سعيد قد أخطأ تلك الأخطاء في هذه القضية ، فإن خطئه في أنه لم يتورع عن ذلك الحكم الجائر كما تورع غيره من العلماء ، وفي أنه أخطأ الطريق في إنكاره ففلا فيه ووضع يده في يد من لم يكن غلصاً في إنكاره ، ولعله أراد بذلك أن يكفر عن عدم تورعه عنه في أول أمره ، ولكن تلك الأخطاء بالغة ما بلغت لا تبلغ خطأ الظلم نفسه ، فكان على الحجاج أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب سعيداً ، وأن يعرف أن ظلمه هو الذي أوقع سعيداً وغيره فيما وقعوا فيه ، ولو أنه فعل ذلك لأراح نفسه وأراح الناس جميعاً .

عبد العالي الصعبي

أننى قد عمدت إلى هذا التكرار في موضعين يظهر في كليهما القصد
وشدة المحافظة على ربط الأقسام بعضها ببعض .

أحدهما أننى قد ذكرت في مقدمة الحقائق الأساسية ،
أو « الفكرة la lièse » التى سأعنى باستخلاصها من بحثى
لطواهر الأسره . ثم كررت في الخاتمة هذه الحقائق نفسها ،
أو هذه « الفكرة » ، عباراتها المذكورة في المقدمة بعد أن كشفت
لنى دراستى للموضوع عن صحتها ، ومهدت لى سبيل استخلاصها .
وهذا هو أقصى ما يمكن أن تعمل إليه المحافظة على إطراد السياق
وربط أجزاء الموضوع بعضها ببعض ، ويصل إليه الحرص على
اتفاق نتيجة الدليل مع نفس القضية التى جعلت موضوع الاستدلال .
وقد كان لى فى منهج علماء الرياضة أسوة حسنة فى هذا السبيل .
فقد جرت عادة الرياضيين فى علاجهم لنظرياتهم أن يبرهنوا أولاً
نص النظرية التى يريدون دراستها ، ثم يأخذون فى الاستدلال على
صحتها ، حتى يصلوا إلى نتيجة تتفق فى عباراتها اتفاقاً تاماً مع
نفس هذا النص .

والموضوع الثانى الذى عمدت فيه التكرار لشدة المحافظة
على ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض يلاحظه القارئ ، فى عرض
طائفة من النظريات التى قال بها علماء الاجتماع . وذلك أن بعض
هذه النظريات تشتمل على حقيقتين أو على حقائق كثيرة يرتبط
بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، ولكنها تتصل بموضوعات عرضت
لها فى عدة فصول من الكتاب ؛ فاضطرت حيال كل نظرية من
هذا النوع إلى تكرارها كاملة فى فصلين أو أكثر مع عنايتى فى
كل فصل بالناحية التى تهتم بموضوعه منها . وذلك كنظرية
« ماك لينان » التى يذهب فيها إلى أن نظام قتل الأولاد فى الأمم
البدائية قد أدى إلى تحريم الزواج بين الأقرباء وإلى اصطناع
طريقة السى فى الزواج . فلما كان موضوع المحارم قد عرضت له
فى القسم الأول من الفصل الثانى وموضوع السى قد عرضت له
فى القسم الثالث من هذا الفصل ، وكانت نظرية « ماك لينان »
تتصل بكلا القسمين ، وتتوقف عناصرها بعضها على بعض ،
ضطرت إلى تكرارها فيهما ، مع اقتصاري فى كل قسم على
مناقشتها من الناحية التى تهتم بموضوعه .

وأما ورود بعض الأسماء فى كتابى بألقاب مختلفة ، فلا أرى

الأسرة والمجتمع

للدكتور على عبد الواحد وافي

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة مؤاد الأول

—•••••

للاستاذ الكبير عباس محمود العقاد من سعة الاطلاع ،
ورجاحة الفكر . والتمكن من ناحية البيان ، ما يتيح له علاج
أى موضوع من موضوعات الآداب والعلوم علاج الإخصائى
الأريب ، ويسمو ببحوته فى نباهة الشأن ، وألمية التحقيق إلى
منزلة منقطعة النظير . وقد تجلت خصائصه هذه جميعاً فى مقاله القيم
بعدد الرسالة السابق عن كتابى « الأسرة والمجتمع » الذى ظير
أخيراً فى مؤلفات « الجمعية الفلسفية المصرية » .

غير أننى — إذ أبدى كبير إعجابى بكلمته الممتدة عن هذا
الكتاب ، وأقدم إليه جزيل الشكر كما وجهه إلى الكتاب وصاحبه
من عبارات الإطراء والديح ، وبذله فى دراسة مسائله من عناية
مشكورة ، ولا أبداه بعده من ملاحظات قيمة تم على دقة التأمل
وعمق التفكير — أرى من الخير أن ألقى نظرة على بعض ما ورد
فى ملاحظاته من أمور تحتاج إلى مزيد من التوضيح .

فمن ذلك ما ذكره الأستاذ بصدد تماسك أجزاء الكتاب ،
وذلك إذ يقول : « ويظهر أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة .
أو كتب بعض فصوله بمزمل عن البعض الآخر ، فتكررت فيه
المبارات بمعنى واحد ، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة .
ولكنه على هذا مطرد السياق ، متتابع الفصول ، يتم اللاحق
منه ما سبقه من الأجزاء ، وينتقل فيه القارئ من تمهيد إلى
مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع » .

ولا أدري كيف تتوافر هذه الصفات الأخيرة فى كتاب ،
ثم يُظن مع ذلك أن بعض فصوله قد كتبت بمزمل عن
بعض الآخر ، أو أنه قد ألف فى أوقات متفرقة ؟ ! أما تكرار
بعض المبارات فى مواطن مختلفة من هذا الكتاب ، فقد تعمدته
تعمداً ، ورأيت أن تماسك أجزاء المؤلف لا يستقيم بدون . وذلك

في ذلك موضعاً للمؤاخذة متى كانت هذه الألقاب صحيحة ، كما لأرى فيه دليلاً على مظهر للأستاذ العقاد . فقد ذكرت «فرز» مرة بلقب العلامة ، ومرة بلقب العلامة الانكليزي ، ومرة بلقب الأستاذ ، وجميع هذه الألقاب صحيحة لأن فرز أستاذ علامة انكليزي . وفعلت مثل ذلك بصدد مرجان ووستر مارك وباخوفين ودور كايم وماك لينان ... وغيرهم ممن ورد ذكرهم في عدة مواطن من الكتاب . وقد يكون بعض الألقاب مقصوداً استعماله بالنات في موطن ما لغرض يدل عليه سياق الحديث ، وقد يكون غير مقصود . ولكن أمراً عادياً كهذا لا يدل على أي حال ، على أن الكتاب قد ألف في أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمزمل عن البعض الآخر ، كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد . وإن الواحد منا ليكتب خطاباً إلى صديق فيتحدث فيه عن شخص ثالث مرة بلقب الصديق ، وأخرى بلقب الأخ ، وثالثة بلقب الأستاذ ، ورابعة بلقب الدكتور ... بدون أن يكون في ذلك دليل على أن الخطاب قد كتبت بعض أجزائه بمزمل عن البعض الآخر . وأكبر الظن أن الأستاذ العقاد نفسه لو كان قد ذكر اسمي في مقاله أكثر من مرة لعددت الثاني لديه عن قصد وعن غير قصد .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الأستاذ بصدد خلاصة الكتاب إذ يقول : « وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعي لا طبيعي ، كما جاء في الفصل الثالث ... »

وحقيقة الأمر أن خلاصة الكتاب ، كما بينت ذلك بصراحة في مقدمته وفي فصله الأخير ، تشتمل على ثلاث حقائق : إحداها الحقيقة التي أشار إليها الأستاذ العقاد : « وأنيتها » أن نظم الأسرة ليست من صنع الأفراد ، ولا هي خاضعة في تطورها لما يريد لها القادة والشرعون . وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعي واتجاهاته ، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق تواميس عمرانية ثابتة ، وأن القادة والشرعين ليسوا في هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وماهيت له . فإن انحرفوا في تشريعهم عن هذا السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين » ؛ — وثالثة هذه الحقائق « أن

نظام الأسرة في أمة ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات هذه الأمة وقاليدها وتاريخها وعرفها الخلق وما تسير عليه من نظم في شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء ، وما تمتاز به شخصيتها الجمعية ، ويكتنفها من ظروف في شتى فروع الحياة ، وأنه في طريق تطوره يسير منسجماً مع هذه الأمور . فنشأه معها شأن جهاز مع بقية أجهزة الجسم الحي . يسير في أداء وظائفه ومناهج تطوره على طريق ينسجم مع طريق الأجهزة الأخرى ؛ ولا يستقيم أمره وأمر الجسم الذي يحمل فيه إلا إذا سار على هذا السبيل . فإن لم يراع القادة والمشرعون هذه الحقيقة في علاج النظام العائلي جاء لإصلاحهم عنصراً غريباً في حياة الأمة ، تتجرعه الجماعة تجرعاً ولا تكاد تسميه ، وتتضافر نظمها الأخرى على مطاردته ودفعه ، ولا تنفك تطارده وتدفعه حتى تجهز عليه ، فيصبح أتراباً بدين ، كجراثيمة ضعيفة تنفذ إلى جسم منيع » .

ولا تقل الحقيقتان الأخيرتان أهمية في نظري عن الحقيقة الأولى ، بل إنهما ترتبذان عنها أهمية من الناحيتين العملية والإصلاحية كما أنني لم أعن بوحدة منها أكثر من عنايتي بما عداها . ولا يظهر في الكتاب أي أثر لترجيح بعضها على بعض .

ومن ذلك أيضاً أنني ذكرت في الفصل الأخير من الكتاب لتأييد الحقيقة الأولى المشار إليها فيما سبق ، اثني عشر دليلاً متماسكة مترابطة يشد بعضها بعضاً ، وتقضى في مجموعها على كل منفذ يقرب منه الشك إلى هذه الحقيقة . وقد استخلصت هذه الأدلة استخلاصاً من دراستي لموضوع الأسرة ، وذكرتها تحت أرقام متسلسلة ، ولكن الأستاذ العقاد قد اقتصر على نقل فقرة واحدة من الدليل الأول وحده ، وذكر هذه الفقرة في صورة يتبادر منها إلى ذهن القارئ أن هذا هو كل ما اعتمدت عليه . ثم ناقشها ورأى أنها لا تنهض حجة على تأييد النظرية التي أريد تأييدها ، وبنى على ذلك معظم ما ذكره في مقاله .

وغني عن البيان أن بنياناً يقوم على اثني عشرة دعامة يأخذ بعضها بحجر بعض ، ويشد بعضها بعضاً ، يبدو ضعيفاً واهياً إذا لم يبق من دعائمه هذه إلا جزء من دعامة واحدة ، ولا يحتاج هدمه في هذه الحالة إلى كبير عناء ؛ وإن حكماً بشاه القاضى على

فهرسة المجتمع

ذوات الطننيين ..

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي



وخلا الباب بها فليس يبارح غرداً كعفل الشارب الترنيم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح الكعب على الزناد الأجذم
ولم أكد أنتهى من إنشاد صاحبي شعر العيسى ، حتى تقلص
وانقرد ، وقد ارتعشت شفتاه ، وانفسحت بينهما مسافة مخيفة ،
انطلقت منها هذه الكلمات تتخلج ولا تتحرج : يا أخى ، جنبى
شر شرك هذا ! فاعدت أومن بما للشعر من قيم وأقدار ؟ قلت :
أو يؤمن الشعر بمن لا يعرف أواصره وأنسابه ؟

قال : أتريد أن تبرأ من هذا الشعر وفيه جودة التصوير
والصدق .. وصاحبي هذا نيت أن أقدمه لقارئيه ، حتى يطمئنا
إلى ما يجرى على لسانه من حديث وجدل ... فهو قد ابعد إلى أوروبا
بضاعة مزجاة ، ثم ردت بضاعتنا إلينا مهوشة مضطربة ككل

اثني عشر سبباً تبدل عند ضمها بعضها إلى بعض على صحة ما جاء
به ، لبيدو حكماً فظيراً ضعيفاً إذا لم ينشر من أسبابه هذه إلا فقرة
من سبب واحد .

قلو أن الأستاذ العقاد قد ذكر جميع الأدلة التي أوردتها أو
لخصها لا تضح وجه الحق فيما أذهب إليه . بل لو أنه ذكر الدليل
الأول وحده كاملاً لظهرت النظرية في شيء من قوتها .



أما النظرية التي ذهب إليها الأستاذ العقاد بصدد الدعايم التي
يقوم عليها نظام الأسرة ، وهي النظرية التي عارض بها نظرتي
والأدلة التي أعتمد عليها لتأييد هذه النظرية فتحتاج مناقشة هذا
كله إلى مقال طويل نرجئه إلى عدد قادم إن شاء الله ، مع تكرار
شكرنا للأستاذ الجليل لما قدمه إلينا من فضل ، وما أتاحه لنا من
فرصة للتحدث في هذا الموضوع الهام على صفحات الرسالة الغراء .

علي عبد الوارث وافي

دكتور في الآداب من جامعة باريس

بضاعة وافدة من هناك ، تنكر النصح وتهم ثقافتها ، وتعيش
عزولاً عن كل ما يقرأ أو يكتب من المينة إلى اليسرة ، والمعجب
الطريف من أمره أن يده اليمنى معطلة ، فهو مع شماله دائماً ، قارئاً
وكاتباً ... فصاحبي رجل - أعور العقل واليد - ورحم الله
الرافى ...

قلت له : لن أبرأ من هذا الشعر وإن كان للعيسى ... فقد
حدثتك نفسك ، وهي دكية ، لولا ما بكتنفها من « كشافتك »
حدثتك أن جواً خاصاً أعيش فيه يتنفس بهذا الشعر ... والزمن
مهما تراخى ، لا بد وأصل بوشائج وصلات ، بين مظاهر الحياة
ومفاتيح المجتمع ...

كان ثمت للعيسى روضة وذباب ... افتن بهما ، وافقن في
تصويرهما ... وقد احتفظت نقد الأدب ومؤرخوه بهذه الروعة المائلة
في هذين البيتين ، وظلت تتحدر من قمة الزمن ، حتى ترسبت في
سفح هذا الجليل ، نابضة بالصدق ، مردانة بالتصوير ...

روضة واحدة كان ينشأها العيسى غردة بذبابها ، مخضلة
سداها . أما أنا وأنت يا صاحبي ، فأينما اتجهنا ، فرياض نواحة
بذبابها « الأصيل » مخضوبة بلعابه السام ... وذباب واحد كان
يستوى العيسى بنشيد الموقف المحبوب ، في فحوة الصبح وصفرة
الأصيل ...

وتسمع للذباب إذا تنبى كتنفريد الحمام على النصوص^(١)
ذباب يترشف الحانة من كؤوس الزهر البليدة المشرقة في مطالع
الرييح ومجالى الطبيعة ، كما يحدث أبو النجم عن روضته الأنف
التي تعمل ذبابها من أكاليل الزهر وربحانها

أنف ترى ذبابها نملله من زهر الروض الذى يكلله
أما أنا وأنت يا صاحبي ، فقدى أعيننا مواكب الذباب الأصيل
يستمرنا بطنينه المليلح الموصول في غدونا ورواحنا ... ذباب
يصوغ أصواته من دم الأخلاق الممزقة الضالة ، ولا ينشط إلا في
عتمة الليل ومساومات الظلام حيث ترهف الآذان ، وتنحط معاني
الحيوان ...

ولا تنقل عليك فلسفتي هذه يا صاحبي ، فقد ذكر الجاحظ :
« إن للذباب وقتاً يهيج فيه لأكل الناس وعصم وشرب »

(١) البيت للنقيب العيسى شاعر نياحلى من شعراء البحرين

... قتل وتجرع وإيذاء !! ..

قال صاحبي : ألهذا آثرت العافية .. ونجوت ؟ قلت :
ولساخر أخرى يحجزني عن التصريح بها أنك رجل وفدك
الورع ، وأسقمتك التقوى ، وتلك التي لم تستطع أوربا أن تبتزها
منك !! وحسبك أن شيئاً وأشيئاً — تريد على ما أصاب أستاذك
الجاحظ — نالني من شر هذه المخلوقات ، فألفتني أعدو وأجد ؛
وقد سلبي « الباب » راحة البال واطمئنان خاطر ، وقد يئست
من استنقاذها منه ، ضعف الطالب والمطلوب ! وظلت أعود حتى
اتبعني الشوط

أأجد يا صاحبي ظلاً وأمس في هذا المكان ؟ حيث لا للشر
على الخير سلطان ...

قال قل لي ما كان من أمر الجاحظ حين خرج يريد دير
الربيع ، فنلقاه الأندلسي قاتلاً : مالك يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟
قلت يا صاحبي : هذه قصة تطول ... فافرح لي من شغل
غدك ، أكل لك ما كان من شأن أبي عثمان ..

قال : وحينذاك أفتيك عن مصيرك في هذا المكان .

أحمد عبد الحميد الغزالي

دمائهم ؛ وإنما يمرض هذا الذباب في البيوت عند قرب أيامها ،
فإن هلاكها يكون بعد ذلك وشيكاً» (١)

قال صاحبي : بقى جانب عامض في موقفك من هذه المخلوقات
التواضعة الصغيرة أرجو أن تجلوه لي : لم ترصد أجواء هذه الحشرات
عادا عليها أنفاسها ؟ أتطوى عوالمها على أسرار ومجرات ؟ قلت :
ولست بحص لك أسرارها ، فهي وحدها بمزاجها ودقة تكرر فيها
سر هذه الأسرار ، ثم في تأملها اعتراف بقدرتها خالقها ، ورواية
لسفوس الزاوية بها ، ولعل الجاحظ أيضاً يريحك فيمنحك ثقة
بها تباعد بينها وبين احتقارك لها ...

أومئيك أيتها المستمع المنسيخ ، ألا تحترشيت أبداً لصغر جثته .
وإياك أن تسيء العين بشيء من الحيوان لا منطرب الخلق ولتفاوت
التركيب ، ولأنه مشهور في العين ...

... ولعلك يا صاحبي تصدق أن الذباب لم يكن في أيام العيسى
إلا ذباب الربيع الباكر البهيج ، لا تكتحل العين به إلا في
موسم وميعاد

أما في أيامك ، فهو كل ما تلقاه حيث أنت ، عاكفاً بالليل ،
أو سارياً بالنهار

كان في الزمن الأول يقتات نوافع الزهر ، حيث لا يضطرب
اجتمع بغير بوازع الحب والكبرياء الدافعة إلى خوض المضاجع
والدماء ، أصمت النسيب ينشد :

ولقد ذكرتك والرماح ناهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت ثقيل السيوف لأنها لعت كيارق ثورك التيسم
هذا ... كان مشغلة لفن الشعراء ، في قة الزمن الأول ...
كبرياء الحب المصحح مجلبة لاشتباك الأسنة والسيوف ، عمل
النفوس في النفوس صفاء ، ووفاء ، ودماء

أما في «منتقع» زمنك الأخير يا صاحبي ، فشغلة الكاتبتين
لجاجة النباب .. كما سماها أستاذك الجاحظ فقد أصابه منها شر
متطايروثاب ، ستأتيك قصته في خاتمة الحديث

استقرت لجاجة هذا النباب الذي أصبحت تعرفه مني ،
على أوضاع توائم دواعي الأيام ، حيث يضطرع مجتمعه بأعاصير
التعاطف الخيمص الناصف بالنفوس الدليلة ، والضماير العليلية ،
فأطمسه المجتمع شرايح الأعراض ، فاستصها غرداً كفعل الشارب
الترنم ، ثم نقها ، طاقة ومجهوداً ؛ فاستشرت الأدوية في الأصحاء

(١) الحيوان. الجزء الثالث. ص ٣١٦ تحقيق وشرح عبد السلام
محمد هارون .

مكتبة الآداب بالجاميز تقدم

تطور النهضة النسائية في مصر

تأليف الدكتورة درية شفيق النقشة بالمعارف

والدكتور إبراهيم عبده مدرس الصحافة بالجامعة
بسطا فيه مراحل تعليم المرأة من عهد محمد علي إلى
اليوم ثم تدرجا فيه إلى معالجة أهم مشاكل المرأة
الاجتماعية وتسدد الزوجات وتقيده الطلاق وحكم
القرآن على ضوء التفسير الصحيح في هذه المسائل
وآراء رفاة رافع والأمام محمد عبده وقاسم أمين
وسعد زغلول وغيرهم وفي الكتاب فصل قيم عن
المرأة الإنجليزية واعتبارها مثلا أعلى للمرأة كروية
وأم ووطنية

الأقطار الشقيقة من ترجمة تختلف عما يجري عليه العلماء في مصر . ولو أن كل قطر من الأقطار العربية استقل بوضع المصطلحات العلمية ، لانتشر في اللغة العربية بعد زمن وجيز عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، فنتعمد بذلك عن روح الوحدة العربية أو الجامعة العربية التي نعمل على تحقيقها .

ويضرب لذلك مثلاً بما جاء في كتاب « لنطق » للأستاذ جميل صليبا ، عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو كتاب كبير فيه أبحاث جلية ، ولا يقلل من قيمة الكتاب ما نأخذه عليه من نقد . وصاحب الكتاب يذكر الاصطلاح العربي وإلى جانبه نعناه بالأجنبية . وهذا مما يسهل للقارئ خصوماً الظالم على اللغات الأجنبية معرفة المعنى المقصود .

في ص ١٠ علم قاعدي Science normative ، وقد درجنا في مصر على تسمية هذه العلوم بالعلوم المعيارية ، كالنطق والأخلاق وعلم الجمال ، وهي تسمية مأخوذة عن العرب ، وللغزالي كتاب اسمه « معيار العلم » يقصد به النطق .

في ص ١١ ميتودولوجيا أو علم الأصول Methodologie ، وفي ص ٥٥ جعل عنوان الكتاب الثاني « المنطق التطبيقي أو علم الأصول » . والميتودولوجيا نسبة إلى « الميتود » أي النهج ، ولهذا كانت التسمية التي اصطللنا عليها وهي « مناهج البحث » أليق من « علم الأصول » خصوماً وأن المسلمين يطلقون علم الأصول على أصول الدين أو أصول الفقه ، وعندهم أن فلاناً عالم بالأصول ، يريدون الفقه والدين .

وفي ص ١٥ ، « المعاني أو المفاهيم هي أبسط أجزاء التفكير المنطقي ، لأنها العناصر الأولى التي تتركب منها الأحكام والأقضية » . وهذه القضية عليها خلاف ، لأن الرأي الحديث بعد كآت الفيلسوف يجعل الأحكام هي أبسط أجزاء التفكير ، وفي ذلك يقول جلته المشهورة « التفكير هو الحكم Penser c'est juger » وليس بمكان الآن تحقيق هذه المسألة .

المصطلحات العلمية

والجميع اللغوي

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني



كنت مع الأستاذ العقاد فاحصلنا على لفظ « الوعي الباطن » أو « اللاشعور » والاصطلاح في اللغة الإنجليزية unconsciousness وفي الفرنسية Inconscience . قلت له ماذا تعني بالوعي ؟ قال الوعي من الوعي ، فتكون النفس أشبه بالوعي الذي يحتوى الأحوال النفسية . phè omènes psycho Logigues : قلت له هذا رأي نبي الآراء في تعريف الشعور أو الوعي ، وهناك رأي آخر لا يحمل الشعور كالوعي الذي يحتوى الأحوال النفسية ، ظاهرة كانت أم باطنة ، بل يحمل الشعور كآراء التي تنعكس عليها الأحوال النفسية ؛ فإذا كان الأمر كذلك فاستعمال لفظ اللاشعور أصبح من استعمال الوعي الباطن .

وانفقنا على أن اصطلاح « العقل الباطن » الذي شاع استعماله في مصر وقتنا طويلاً ، ليس اصطلاحاً ملائماً . فنحن إذن أمام ثلاثة مصطلحات : الوعي الباطن ، واللاشعور ، والعقل الباطن ؛ فأيهما نأخذ ؟ وأيها صحيح ؟ ومن يستطيع الحكم على صحة هذه المصطلحات وملاءمتها لمقتضى العلم ، ومطابقتها لروح اللغة ؟

مهما يكن من شيء ، فنحن في حاجة إلى اتفاق على المصطلحات العلمية في شتى أنواع العلوم التي تقدمت تقدماً عظيماً ، ونريد أن ننقلها إلى اللغة العربية . فنحن في عصر النقل أو الترجمة . وأهمية الاتفاق على المصطلحات واضحة ، إذ يتمتع اللبس وتقل البلبلة والاضطراب ، ويستقيم الفهم عند الطلبة ، ويسهل عليهم معرفة المقصود إذا كانوا على علم باللغات الأجنبية التي نأخذ عنها .

هذا الخلاف يزيد أمره وتوسع شفته عما يجري عليه علماء

في لفتنا . فكل لغة حية إنما تنمو عن طريق التأليف والكتابة .
واللغة العلمية وليدة التفكير العلمي ، والمصطلحات العلمية في اللغات
الأوردية إنما نشأت بهذه الطريقة ، ونتجت عن عوالم العلم والتأليف .
ومن العيب أن يقوم مجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين
فرضاً ، وإنما تأتي مهمة المجمع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها ، فالمجمع
اللغوي يجمع ما ورد في الكتب العلمية من مصطلحات ويدونها
ويفسرها . « ص ٢٤ ، ٢٥ »

فأرى أعضاء المجمع في هذه الدعوى التي يريد بها صاحبها
أن يفتح أبواب المجمع اللغوي ؟

ونحن نرى أن المجمع اللغوي بمحالاته الراهنة لا يستطيع أن
يخدم اللغة العربية من جهة المصطلحات العلمية الحديثة ، لأنه في
واد ، والمؤلفين والمترجمين في واد آخر . والواجب أن يتقرب المجمع
من الجمهور ومن الشتطين بشتى فروع العلم ، وأن يتصل المؤلفون
والمترجمون بالمجمع . وسيل ذلك ما يأتي :

١ - إصدار مجلة المجمع بصفة جدية ، على أن يكون إصدارها
أسبوعياً في صفحات قليلة وتخصص للمصطلحات العلمية فقط ؛
وأن تتخذ الصفة التجارية ، من حيث الحجم والطباعة والإخراج
والثمن والتوزيع ، ولا بأس أن يدفع أجر لكل من يرسلها من
المؤلفين والمترجمين ، كما تفعل جميع المجلات . أما الاعتذار بصعوبة
الحصول على الورق فأمر غير مفهوم .

٢ - تصنيف العلوم المختلفة ، وهذا رأى يسير بطبيعة الحال ،
ثم تسجيل جميع المؤلفات العربية في كل علم أو فن ، وتسجيل
أسماء المؤلفين أو المترجمين مع بيان عناوينهم لسهولة الاتصال بهم .
٣ - أن يخاطب المجمع العلماء والمؤلفين ، وبطلب منهم رأيهم
دون أن ينتظر منهم أن يخاطبوه هم . فالمجمع في حاجة إلى العلماء
قبل أن يكون العلماء في حاجة إلى المجمع . وبذلك يكون المجمع
هزة الوصل بين العلماء في شتى الجهات والأقطار ، وسيلا من
سبل التقريب .

دكتور

أحمد فؤاد الأهواني

وواضح أن المؤلف يجعل « المعنى » مرادفاً « للمفهوم »
ولسكن منهما دلالة معينة في النطق . فالمفهوم في اصطلاح الناطقة
مجموع الصفات التي يدل عليها اللفظ Comprehension ولسكن
الأستاذ جميل صليبا يضع اصطلاحين جديدين للمفهوم والمصدق
هما التضمن - والشمول ، وكلاهما لا يصلحان للتعبير عن المفهوم
والمصدق ، كما أننا في غير حاجة إلى ابتكار مصطلحات جديدة
إذا كان العرب قد وضعوها واستقرت في الإستعمال .

وكذلك ما يسميه « معاني الحرمان Idées Privatives » .
ص ١٩ ، وفيها يقول « وحى تدن على الإيجاب والسلب معاً ، مثل
معنى الأعمى فهو لا يقال إلا على الموجودات القادرة على الرؤية »
والعرب يسمون هذه الألفاظ « الدم والملكة » فعلى ألفاظ
عدمية ، أى أن صاحبها كان يملك الصفة ثم عدها ، مثل المعنى
فهو عدم البصر ، والصلع عدم الشعر .

ولا زبد أن تتعقب جميع ماورد في الكتاب من مصطلحات
ومناقشتها ، لأن غرضنا التنبيه على الخلاف الشديد الذى يذهب
إليه المؤلفون في تعريب الألفاظ الأجنبية ، وهذه فرضى عجبية
لا تبشر بالخير في عالم الثقافة العربية .

وعلاج هذه الحالة ما رآه بعض المفكرين من إنشاء « المجمع
اللغوي » الذى يضم قادة الفكر من علماء الأقطار العربية ،
وبعض المستشرقين ، ومن أغراضه وضع المصطلحات العربية
للألفاظ الأجنبية المستحدثة التى لم يضع لها العرب ألفاظاً .
وقد مضى على إنشاء المجمع زمن ليس بالقليل ، ومع ذلك
لا يزال سلطانه ضئيلاً ، وآية ذلك أن العلماء يمحضون في سيلهم
يضمون ما يعجبهم من اصطلاحات ولا يعرفون بما يفعله المجمع ،
فا السبب في ذلك ؟

يرى الدكتور على مصطفى مشرفه بك في كتابه « نحن والعلم »
أنه ينبغي البدء بالنقل وتشجيع التأليف العلمى لإيجاد المصطلحات
قال : « والتأليف العلمى هو الوسيلة الطبيعية لإيجاد هذه المصطلحات



متحمسان ... ١

كنا ذات صباح نحو عشرين رجلاً قد وقفنا واحداً خلف واحد منتظرين في قلقى حتى تفتح نافذة تذكر السفر؟ وأخذ يتزايد عدداً دقيقة بعد أخرى، وكان كل قادم يأخذ مكانه في ذيل هذا الخط الطويل الذي ذكرني بما كنا نفعل ونحن صغار حين كنا نقلد القطار ... وكنا جميعاً لا نفتأ ننظر في ساعاتنا وصغير القطار وصوت رحيلها على الأفاريز القريبة عملاً أسمعنا، وحركة المسافرين والجمالين وهم يسرعون في موجب وفي غير موجب تزيدنا قلقاً على قلق، ونشاط صار في التذاكر في النوافذ المفتوحة على جانبي نافذتنا الموصدة يلقى في نفوسنا الشك في وجود من يفتحها أو يعجل بنا إلى الظل أنه ربما ريكه في حجرته عمل آخر. وكان أكثرنا نظراً في ساعاتهم من كانوا أكثر بعداً عن النافذة؛ على أن القلق قد اشتد بنا جميعاً حتى أوشك أن يتحول إلى ضجر ... وأخيراً فتحت النافذة. أقبل بائع التذاكر على عمله في هدوء وتؤدة، بعد أن ألقى نظرة على المنتظرين، وكان مبتهطاً مطمئناً أنه كفيل ببيع التذاكر جميعاً قبل تحرك القطار بوقت كاف فهو خير من عمله وقتل داخله ما يدخل المسافرين من قلق.

وأخذ كل منا يخطو خطوة كلما خلا من مقدمة الصف رجل، وبينما نحن على هذا النظام الذي نفعله مقادير زلزالنا منذ أكثر عددهم بيننا في هذه الحرب، إذ أخذت عيناى لابل أخذ منظارى شاباً مقبلاً بادی الأمانة، متكلف المظلة، يلتصق شعر رأسه الحاسر التماعاً لا يضاويه إلا التماع رباط عنته الأحمر، وإنه ليخطو في خيلاء تشبه الصلف، يضرب الأرض بقدميه ضرباً قوياً حتى يحدث حذاؤه صوتاً واضحاً في ضوضاء الفناء، وما أسرع ما فطنت إلى أنى منه تلقاء متحمس، وإلى لشديد الحجة للمتحمسين عظيم الشغف برؤيتهم. ومشي هذا المتحمس إلى النافذة فوضع نفسه في رأس الصف وهبها أن يرضى متحمس أن يكون في المؤخرة، ولكنه ما كاد يمد يده بالنقود حتى سرت في الصف كله موجة احتجاج كانت أكثر شدة في آخره؛ وارتفع صوت من الوسط ينبه هذا المخاف: — أرجو أن تأخذ دورك وإلا فامعنى أن كلاً منا قد ارتضى دوره؟

— هذا ليس من شأنك ... أنت مفتش؟ ... أنت مراقب؟
— يا سيدى هذا لا يليق ... أرجع إلى موضعك من فضلك
— مرش شتلك يا أفندى ... إشتكى إلى مدير المصلحة
وتحير هذا الذى يحتج ماذا يقول، ولكنه ما لبث أن صاح قائلاً في غضب: «بظهير أنه مازال بيننا (جليطة) كثير» ونظرت فإذا بي منه تلقاء متحمس ثانٍ في نهاية سن الكهولة، وأنا كما ذكرت لك أحب المتحمسين وأطرب أشد الطرب لرؤية تحمسهم وجاء أجنبي في تلك اللحظة فقص إلى النافذة كما فعل المتحمس الأول؛ وعلقه قد رأى مزاحته فنحن الأمر فوضى، وما كاد ينبه أحدنا حتى عاد إلى موضعه في ذيل الصف معتدراً عن خطئه وفي وجهه حمرة شديدة من فرط الحجل.
وإذ ذاك نظر المتحمس الثانى إلى المتحمس الأول قائلاً وهو يشير إلى ذلك الأجنبي: «ألا ترى؟ هذا لأنه بنى آدم»
ولكن صاحبنا لم يترشح عن موضعه وكأنه يتمسك بمبدأ الثبات حتى الموت، وإلا فله لا يبالى بضجر المتحمسين في الصف كله — إلا أنها بالضرورة — ولا يبالى بنظرات الإزدراء تصوب نحوه في شدة كادت تجعل من في الصف ما عداى متحمسين؛ ثم يعبأ على الرغم من ذلك وظل متمسكاً بمبدأه القويم ومد يده بالنقود إلى بائع التذاكر فما أشد ما أخذه من حيرة إذ سمع ذلك البائع يقول له في هدوء: «من فضلك اذهب إلى موضعك»
وئارت نائرة هذا المتحمس، فقال في صوت أشبه بالصراخ وهو يضرب النافذة قبضته «أمتنع عن بيع التذكرة؟» وتطلعت في فرح أحسبني أظفر برؤية متحمس ثالث، ولكن البائع ظل هادئاً ونظر إليه مبتسماً وهو يقول: «إشتكى إلى مدير المصلحة»
وتناول البائع النقود من كل مسافر حسب دوره في الصف وظل صاحبنا في موضعه قرب النافذة متمسكاً بمبدأ الثبات حتى الموت يرشقه كل من أخذ تذكرته بنظرة ازدراء، حتى جاء دور المتحمس الثانى وقد امتلأت نفسه إعجاباً ببائع التذاكر وعدائه، فنظر نظرة نصفها إليه ونصفها إلى ذلك الذى لم تجده حماسته وقال سهلاً: «والله ما يصح أن يكون مدير المصلحة غيرك»؛ ثم صوب نحو زميله الذى ماتت حماسته من الخبث نظرة شامتة وهرب إلى حيث يقف القطار.

التحيف

ريح الشمال . . .

[مهداة إلى الوزير العامر دسوق بك أباطة]

للأستاذ أحمد مخيمر

—>>><<<—

تنسمتُ أرواح الشمال هنيئةً فهاج بي الشوق الدفين هبوبها
بسمي كعمول الحديث حفيفها رخيٌّ، وفي قلبي شجىٌ ديبها
فتحتُ لها صدرى فأمتُ خيلةً من الحب فيه صادقٌ عندليبها
نأتُ راحةً الساقى فصوح دوحها

وما غاض في ظل النصوص قلبها (١)
وكانت كرواق الشمس في ميمة الضحى
يرفُ رفيفاً رهوها وقصبيها
ويبرقُ من فرط التضايرة عشها

ويهتز من فرط الحياة رطبيها
تقى لحظة ربح الشمال، فطالما تمتدك نفس شردها خطوبها
لعل شذى منها لديك أنتمه وهانفة مما تبثُ أجبيها
ويعيث فؤادينا صحارى رحيبة

نُضِلُّ الخطى وديانها ولهوبها (٢)
يعوم عليها الآل حتى كأنه ظنون بأرض النفس ناء قريبها
بعت عليها من أمانٍ طائرًا فأب مريضاً أعتته دروبها
وإن كثيراً أن أظل بيلدة غريباً ولا يدنو لنفسي حبيبها
إذا الليل وارانى شعرت بلوعة يُشَبُّ بأحناء الضلوع لمبيها
وجاء إلى الحزن من كل جانب وهممت الأشواق جماً سروبيها
وبأن لعيني الظلام كأنه خفيرة موق فاجأتها شعوبها (٣)

ورفتُ بقلبي ذكريات من الهوى
تفوح نازهار الرياض طيزيها

(١) القلب : البئر .

(٢) اللهب : المهاوي بين الجبال .

(٣) شعوبها : المنبة

أرود بها لذات هيد قد انقضى وأيام حب غاب عنها رقيها
فما هو إلا أن طبنتي ظلالها

فرحتُ عيني فاستهلت غروبها
وكنت كذى غل (١) رأى الماء قلبه

ظنوناً، وهل يُروى بهن طلوعها !

لك الله يا ربح الشمال، وإنها لساعة بث ثم يدنو منيها
تهيجين أشواقى ! وقد كفت قبليها

مزامير غيبٍ، في الصلوع طروبها
وكنت إذا أعولت في ظلمة الدجى

توزغنى أصرارها وغيوبها
أظل كأننى قد فتحت لناظري سبلاً إلى الآباد رحت أجوبها
فبالله يا ربح الشمال أسيئت إلينا نحيات لديك نصيها !
الأمست خديها، أجادت شعرها

صفائر صفراً يتفج العرف طيها
كثل خيوط الشمس، والفرق وسطه

شعاعاً قراء بهي سروبيها
عجيب كصحراء الخيال موهة بذوب تضار قاعها وكثيها
جيل كالوات على السحب ترقة

وقد حان من شمس النهار غروبها

شفت كبدي ربح الشمال وقد سرت
فيا ليت شعري هل شفتها جنوبها
نأت دارنا عنها، وشطت بدارها

نوى قداف قد أبعد الساو (٢) نبيها
ولأنى امرؤ أقصى مناه وهمه ببقمان أدفو أوبة فيثوبها !

أحمد مخيمر

(أدفو)

(١) النل : الغليل

(٢) الساو : الهمة .



مول المرسنة الرمزية

سيدى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد :

لست أريد من هذه الكلمة القصيرة التي شرفها أنها مرجية إليكم ، إلا أن أذكر لسيدى الأستاذ أن الجملة الأخيرة التي أنهى بها مقاله عن « المدرسة الرمزية » في عدد سابق ، هي نفسها ما ظلت أشعر به منذ سنين ، أن ملت إلى الرمزية أنصفها وأنقذها من أيدي من كفانا الأستاذ الكريم عناء وصفهم والله الشكر ... فلقد لست بيدى ضرورة الإيمان بأن « ميزان الصدق في هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها » ... وأن يكون الإيماء « لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب » ... أى ورث ... ولا أحنى على الأستاذ أنى ما شعرت بهذا إلا من كثرة ما أغوص في تنسى الحزينة الثائلة ، حيث أتف على كل عاطفة ، دقيقة وغير دقيقة ، وكل معنى ، واضح أو مبهم ، فأذهل في هذه المرحلة التي أسمىها مرحلة العواطف ، وأشعر أنى في جو جديد ، أنصت للهمسات المتشردة ، وأرؤى إلى ألوان متتابعة ... حتى يأتيني هيجان النظم ، فلا أقنع بما دون الحالات كلها وأجرب وصفها وتصورها ... فأضطر إلى أن أقال ... فأغال ... وما العمل ؟ وأصبح لا أريد من الرمزية إلا الوقوف على هذه الحالات الدقيقة ، مردداً في كل مناسبة هذه الجملة التي كادت تكون تسميحى : « إذا الرمزية لم تأخذ على عاتقها إجلاء غوامض النفس فخرى بها أن لا تكون ... »

فأبقي إذا في الرمزية هو التعبير عن هذه الدقائق النفسية التي لا ريب قد شعر بها القارى كل أو بعض الشعور ، والتي يمكن على كل حال إحياؤها فيه ... ووسيلتي — وهي أيضاً غاية بعض الرمزيين النصفين — ليست الغموض وحده ولا الوضوح وحده ولكن تعانق هذين اللونين اللذين مجدهما — كما يقول صديقنا الأستاذ بديع حتى — في كل شيء ضمته هذه الحياة ، هذه الحياة التي هي نفسها تعانق وضوح وغموض ... نعم صديقنا بديع — وهو أكثر ما أراه ميالا إلى النزول وإلى وصف الطبيعة في شعره الرمزي — يريد أن تكون الرمزية صورة هذه الحياة ... وله الحق ... ولكن أنا ... لا أريد من الرمزية إلا التعبير عن هذه العواطف الدقيقة وتلك المانى المهمة بأسلوب يقتضيه الحال ،

فنكون بذلك قد خدشنا الأدب الرمزي خاصة والأدب العربى عامة ... وأنا أقول هنا الأدب العربى لأن الأدب العربى لم يجهل قط في عصر من عصوره الإسلامية هذا النوع من النظم !! واليوم ، يجب أن لا ننظر إلى الرمزية بعين الازدراء أو التعمص فتعدها خروجاً عن الأدب أو مفسدة للذوق الفطرى الأدبى أو غير ذلك : ولكن يجب التعلل فيها !. نعم ، نحن ورثنا عن القدامى رمزيات عديدة كتلك التي رمز إليها أستاذنا آنفاً أبو. تلك التي أسعدنى الحظ ففصلتها في بحث بطول الآن اختصاره ، قدمته لمباراة أبي الغلاء التي أقامتها مجلة (الأديب) القراء في السنة المنصرمة ... فكان والمحمد لله من الفائزين : وقد تبين لنا فيه أن المعرى رمزي صوفى ، لم يدفعه إلى الرمزية إلا تصوفه ... وغير ذلك ... ولكن باحضرة الأستاذ ألا ترانا بحاجة إلى تجديد هذه المفاهيم الصوفية الرمزية الرئيسية ؟ إنا اليوم نرمز ونحن بعيدون عن التصوف بعد الأرض عن السماء ، أفلسنا بحاجة إذاً إلى رفع لواء الرمزية الحقيقية حيث يكون « الرمز فيها ضرورة » . سيدى الأستاذ ، أنا قد آمنت بهذه الرسالة التي يجب أن أحمل مشعلها في الأدب الحديث ، بأشأ هذه المفاهيم الشاقة الشيقة التي وجدت أيضاً (جنودها) عند منصفى الرمزية الفرنسية : عند (مارمه) — وخامسة مارمه هذا — (و فرلين) و قليلا عند (رمبو) .. وأنا اليوم أنظم على منوال مفاهيمي هذه التي رمزت إليها فوق ، والتي أحب ، بعد هذه الكلمات ، أن أسمع أستاذى بعض أحاديثها ... فهل يتكرم الأستاذ فيبدى فيها رأيه ، بعد ما أتيتحت لى هذه المناسبة السعيدة التي تجعلنى أومن كل الإيمان بأن (الرسالة) هي تاريخ هذا العصر الأدبى المضطرب ... وبعد ما طمعت — والشباب كله طمع وأمل — في جودكم المهود الذى يجعلكم لا تفتنون برأى على قريب ولا بعيد ...

فالقصيدة ، وعنوانها « بقايا حلم » جربت فيها تصوير هذه الفترة الدقيقة التي تمر على كل إنسان في ساعات أحلامه : فيندفع وراء الأوهام باسمأفرحاً ، بوعى وينير وعى ... فتحمله ... وأواه ... لا تحمله إلا إلى خيبة ، إلى حزن ، إلى قبور جامدة فيقف قائلاً لنفسه :

بقايا حلم

لحسرة الوم ، يا نفس ، هل تبسمين ؟ ...
تموت الرؤى في الضلوع ... ولا تشعرين !!
وتنهو ، يتسبها الفلّ والياسمين :
لتسكب حُزنى على زغردات الأئين !!

لأنني خاضت بشر فارس الشاعر القاص وحاربه في شعره وفي قصصه ، ولن أنفك عن منازلته في كل ميدان ، ومحاربه بكل سلاح ، حتى أقتل التواءات في نفسه يقرني عليها كل الأدباء ولن أعامله كما رغب إلى حضرة الدكتور — سبحانه الله مرة ثانية — « كما يعمل الطبيب الجراح مبضغه في اللحم العليل » لأنني أعتقد أن في وسع هذا الزميل الانتاق من هذه الرمزيات الشعرية والقصصية متى انجابت السحب الدكناء عن ذهنه غير الظلم ، وعندها يكون صحيحاً كأحسن الأصحاء . أفضل ذلك ، لأحباً به ولا كراهة ، ولكن غيرة مني على ناشئة قد يسمها هذا الضرب السمج من الرمزية الجوفاء ، الحامل لواءها المنكس الدكتور بشر فارس .

مبيب الزعمرى

حفلة المعهد الملكي للموسيقى العربية

أقام المعهد الملكي للموسيقى العربية يوم الإثنين الماضي حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على الخريجين تحت رعاية الوزير الحبيب الدكتور عبد الرازق السنهوري بك الذي أناب عنه الأستاذ محمد بك فهم ، وقد بحثت بإمعان عن مجهود الطلبة في هذا المعهد فلم أجده أترأأ ينسبنا أخطائه الماضية وجموده الدائم بالرغم من وجود الدكتور شرف الدين سليمان والأستاذ عبد الحليم على في المعهد وفي الوزارة وهما علمان بارزان في سماء الفن ولولاهما لسقطت الحفلة سقوطاً مريعاً . وأعتقد مع الأسف الشديد أن النظم المتبعة في هذا المعهد هي التي ظلمت جهود هذين البطلين وحالت بينهما وبين تنفيذ برامجهما الفنية في عالم الأوبرا التي قدم منها الدكتور شرف أول محاولة بالنسبة إلى فهم المعهد . وقد أجمع المثقفون على صلاحيته لئلا هذا العمل لولا النظم البالية التي حالت بينه وبين تنفيذ برامجه في عالم الموسيقى المسرحية التي لم يسمع بها المعهد بعد ! ونحب أن ننبيه القائمين بالأمر على صفحات هذه المجلة التي تستخدم الفن والأدب بإخلاص إلى ضرورة الالتفات إلى وضع الموسيقى المسرحية والأوبرا في برامج المعهد في العام القادم حتى نتخلص من هذه الأوضاع الجامدة التي تركض بنا إلى الوراء ركضاً سريعاً ، وحتى نرى في السنين القادمة أترأأ واضحاً يثير الطريق للسالكين بعد هذا الليل الطويل .

عبد القادر محمود

وتَقِينَ حَيْرَى ، وراء الهضاب الحزين ١١ .
فَأَسْأَلُ عَنْكَ الْخَيَالَ ... الْخَيَالَ الْأَمِينُ :
إذا بالهواويل تومي : « مَهْ ... بعض حين » !
« »

فأهسُّ للعوت ... واليبدُ ليست تين :
قبورُ على أبحرِ الرمم تبكي السنين ...
وترنو إلى الذكريات بعين الحنين !
قبورُ ... ولحن أحتضار ... ودنيا ... ودين ...
وألقاك ، أنتِ ، تقولين للسادين :
« بنفسي أشيع نفسي ! ... فهل من معين ؟ »
« »

لحسرة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمين ...
فهذه قصيدة قد تغنى عن كل ما لحسنه فوق والسلام عليكم
وإلى اللقاء ..

عمر نادر الزهري

دمشق

غيرة فيلسوف

ليت الغيرة التي دفعت الدكتور شريف القبج إلى نقد طريقة إقحامى النقد الأدبي في فن القصة كانت غيرة على الأدب وحده دون سواه ، وبذلك كنت أحمده غيرة ، وأقدر تجرده عن الغرض البادى من تضاعيف سطوره وتبايره غير المحمودة .
إني أتناهى عما قال — سبحانه الله — حباً بالنقد وحرماً على الحرية — لأقول له إن ما بيني وبين زميل له من خصومة أدبية هي التي حفزني إلى إقحام النقد الأدبي في فن القصة . فهل هذا الإقحام جائز أو غير جائز ، مقبول أم مكروه ، أو هو بدعة للتشني كما توهم ؟

أعرف أن ميدان القصة رحب يسمع ما في الحياة بأكلها من صور وألوان ، وأعرف أن إقحام النقد الأدبي لا يكون إقحاماً على القصة بمعناه الصحيح إلا إذا عجز القاص عن إلحاقه بسياق الحديث ، وبمجره الطبعي ، وبجوه المناسب ، ولم أندب عن هذا السمت فيما أوردته في قصتي « الأفعمان » المنشورة في مجلة « المنتدى » .

أما زعمه أني فعلت ذلك للتشني من زميل له فهذا زعم باطل ،

وفلج ونار - ونار ونار - والنرام الذبيح - وامرأة .
وهو يضم أيضاً عدة قصائد من بينها : الأيام - وإلى
الطبيعة المصرية - وفاروس الثاني - وموكب الوداع . وكلها
تماذج لهذا الشعر العاطفي الراقص ، والديوان من الشعر
الحلي الذي تمتاز به دولة الشعر الحديث .

محمد عبد الحليم أبو زهر



الشوق العائد

ديوانه جدير للشاعر الأستاذ علي محمود طه

البلاغة العصرية واللغة العربية

لأستاذ سلام موسى

كتاب للأستاذ سلامه موسى يحمل طابعه المعروف ، أهده
إلى الأستاذ أحمد أمين لأنه هو الذي أوحى إليه بموضوعه من حيث
لا يدري (أحمد أمين بك يوم أن نشر مقالا في الثقافة) يشير إلى
أن الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة ...
والأستاذ سلامه يرى أننا نفكر بالكلمات وكثيراً ما نتخذ
فنظن أننا نعالج الأشياء في حين أننا نعالج الأسماء ونرى أن الكلمات
تكتسب اتجاهات أخلاقية وتكون لنا مزاجاً فنياً وأحياناً تحمل إلينا
رواسب ثقافية قديمة كثيراً ما نغترنا في مجتمعا ، وهو من أجل
هذا عاج في كتابه البيئة واللغة ، واللغة وانتطور البشرية ، واللغة
والمجتمع ، والأحافير اللغوية . وتعرض إلى ضرر اللغة (هكذا في الكتاب)
وقارن بين الكلمة الموضوعية والكلمة الذاتية وتحدث عن
المجتمع العربي القديم .

وعقد فصلاً حول (الكلاسيكية داء الأدب العربي) ... الخ
وليس في الكتاب بحث يتصل بالبلاغة بمعناها الاصطلاحي إلا كلمة
(فن البلاغة)

والكتاب بحوث حول اللغة كأداة للتعبير وحول تبسيطها
واخضاعها للحياة المعاصرة .

ومع أن الكتاب في مجلته بحوث تثير التأمل إلا أن الكتاب
لم يأت بجديد يحمل مشكلة اللغة من ناحية البلاغة ؛ لأن نهاية إجهاد
قلبه كانت تلخص في (أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلاً
من بلاغة الانفعال والمقيدة ، كما يجب أن تنوق المرادفات والكلمات
المتبسة وأن تميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية .

ثم يدعو الأستاذ إلى أن يتأق (التليد) في تعبيره ولكن
تأق الذكاء وليس تأق الهرجة البدئية ...

آية الفنان المزهوب أنك في دنياه لا تكاد ترجع ما يمرضه
أمام ناظرك ، ويجريه في حسك ، إلا إلى منابع روحه ، وقبوض
مواهبه ، وحسب هذه المجموعة التي يقدمها الشاعر - علي محمود
طه - في ديوانه الجديد الشوق العائد أنها تحمل هذا الطابع
الفني الرائع في معناها ومبناها ، فهي تتقدم في مبنى غاية في
الأناقة ، ومعنى من دنيا الشاعر الذي يهيم في أجواء الحب ،
ولا يكاد يثنيه عن الرلح بهذا الجانب الإنساني العاطفي ما ينقل به
سرجل العالم من أحداث وأحوال . ولكن متى كان في استطاعة
الإنسانية أن تتخلص من أسر العواطف ؟ والشوق العائد وحي
الوجدان الصادق ، فليس فيه عاطفة مصطنعة ، ولا صورة غريبة ،
ولا شعور متكلف ، ولا إحساس دخيل ، بل يفكر بقوة
روحه ، ويشع عليك وهج قلبه في صدق وأمانة ، ويرسم لك
عواطفه وخوالجه بهذا الوضوح والهدوء ، فلا يخلق بك وراء
السحاب ، ولا يقذفها هوجاء عاصفة ، ولا ممتدة غامضة ، ولا أدري
ما إذا كان هذا من حسنات - محمود طه - في نظر بعض الناقدين
أم من مآخذ . ومن بين عرائس هذا الديوان قصيدة (الشوق
العائد) التي يقول فيها :

إهدئي يا نوازع الشوق في قلبي فلن تملك لي باض رجوعاً
آه هيهات أن يعود ولو أتيت عمري تحرقاً وولوعاً
ثم يعقب على هذا الزائر المأود فيقول :

أيتها الزائر المأود ما أرتباك أحسنت بالزوار صنيعة
ما أرى في سمات وجهك إلا شبحاً رائماً وحلماً وجيماً
يسموقه ناظرأي كائن في اتقي آلام عمري جيماً
ثم ينتهي إلى هذه النغمة الحزينة :

عدت يا شوق ! قيم عدت ! ربيع الـ ممرولي ! قبل تعيد الربيع !
ولقد استطاعت المرأة أن تسيطر سلطانها على أكثر ما في هذا
الديوان ، وأن تطلق فيه أشباحها ، وأن تستأثر منه بصفحات
خالدات من أمثال : طاقة زهر - وامرأة وشيطان - وهي وهو -

الأدب، برتفع أفرادها مرة إلى أفق الخيال البعيد، ثم يهبون إلى ديا الحقائق الملموسة، وما يلبثون حتى يحلقوا في عالم الأطياف والرؤى أهدى المؤلفون كتابهم إلى « أماء » التي عاشوا وهي معهم غرباء في القاهرة، فلما مضت عنهم تفرقوا في الكون المريض كنباتات ضالة ليس لها جذور، وأطياف هائمة ليس لها قرار . ولقد اتصف الصديق الكريم الأستاذ سيد قطب بالفناء ونسر بل بالإخلاص . وتلك الصفة وذلك اللباس بتجليات رائعتين فيها كتب من فصول عن « أماء » تلك الملموسة التي لا يشأ الأستاذ قطب يرد ذكرها ويحس بالوحشة إليها . وما أجل اللوحة التي أبدعها قلمه حين قال مخاطباً إياها « قتي ... قتي نصعد لعجلة الزمن العاتية كي لا تدور قسحق كل عزيز وتدفن الماضي الذي نعيش على هدام . ظللي يا أماء حياتنا بمناحيك الرقيقين ، ولا تحسري هذا الظل عن مواقفه التي تقيأناها . عيشي معنا يا أماء في هواجسنا وأفكارنا ، ولا تنالي أن يلذعنا ألم الذكرى كل لحظة ، فهو ألم رفيع عزيز ، ينفذ من نفوسنا ما كان يغذيه عطفك ، وعلاً من وجداننا ما كانت تملؤه رعايتك . جنيننا الفراغ القاتل ، والسوى الرخيصة ... يا أماء » .

والحق أن كتاب « الأطياف الأربعة » تمتع بثلث القارىء بقراءته حتى ليكاد يستعيد بعض فصوله مرات ومرات ؛ فإن الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفوه ، والشاعر السامية التي أودعوها صفحاته ، والتحليلات النفسية البارة التي عرضوها فيه ، دلت على قدرة مشاعة بين إخوة أربعة ، وفطنة مشتركة بينهم ، ولبابة أدبية يتميزون بها ويتجلون .

غير أنني أريد أن أمس في آذان الكتاب الأفاضل ، ولا أظنى متعاملاً عليهم ، إن مصنفهم اتشح بالسواد واكتنفته مسحة قاتمة من الحزن تكاد تبلغ مرتبة التشاؤم . حتى الغلاف لم يسلم من ذلك الخمار الأسود القاتم يحلل صدره . أما كان يجدر بهم أن يضيفوا إلى « الأطياف الأربعة » طيفاً خامساً مرحاً أو باسم ؟ أما كان من الأفضل أن يكون الكتاب معرضاً لصنوف الشاعر ، بين فرح وحزن ، وابتسام وعبوس ، وجمال ودمامة ؟ والكتاب فيما عدا ذلك قطعة أدبية فنية رائعة ، تمس حين تقرأ انشاقاً وانسجماً بين فصوله المختلفة تفصح عن مكونات قلوب كاتبه السمحة ، وميولهم الأدبية الرفيعة .

وديع فاسطين

بكلوريوس صحافة

وهذه الأمانى تحقّقها كتب البلاغة حتى الكتب القديمة . والأستاذ يعرف أن بلاغة العقيدة هي أشد أنواع (البلاغات) وأن المترادفات متى استدعتها دواعي البلاغة كانت أكرم في تظليل المعنى وإيضاح الفكرة ، والفن العارى المجرد لا يهز النفس ولا يمتع الروح ، والأستاذ (سلامه) في حاجة إلى أن يراجع آراءه القاسية التي تريد اللغة أن تكون من وحى (التلغراف)

وعليه أن يعرف أن فن البلاغة خضع للتطور ، وأن أدباء العرب لم يقدسوا شيئاً كما ظن قديهم رجوا الزائف بدقة أدواقهم وقوانينهم التي أجدت على النقد وأسعفت الفن الرفيع .

وأما تعرض الأستاذ سلامه لمهيج العقاد وسلوكه في تأليفه على نهج سلقى وإضافة كثرة الأدباء إلى هذا فتدع ذلك وبيان لإيضاحه للقراء ، ندع أمره والدفاع عنه للأستاذ العقاد . ونحن نعز بالفصحى ونعز بمن يعز بها ، ولست أدري ... لم يضيق الأستاذ سلامه موسى بأخفير اللغة ما دمننا نستطيع الانتفاع بها وما دامت فيها روح الإعجاز والخلود .

واللغات جميعها تنتفع بماضيها ونحبي من نقائسها ما يربط مستقبلها وحاضرها بالتليد النافع وإذا فانتك التفتات إلى الماضي فحسب غاب عنك وجه الناسى

لأم محمد عبده

الاطياف الأربعة

للساندة أمينة وميمية ومحمد وسير قطب

أخرجت لجنة النشر للجامعيين أخيراً كتاب « الأطياف الأربعة » للإخوة الأربعة الأساندة حميدة وأمينة ومحمد وسيد قطب .

« كتاب كتبه إخوة في الدم ، إخوة في الشعور ، كلهم أصدقاء ، يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف ، هم أنفسهم كل ما يملكون في الكون المريض . إنهم أبدأ يملكون وقد يتفزعون في الحلم ولكنهم إليه يعودون . أودعوا خطرهم صفحات هذا الكتاب ، فاحتوى عصارة من نفوسهم وظلالاً من حياتهم » يصف الأدباء الأربعة صوراً خبروها في حياتهم ، وحوادث مررت بهم ، بعضها ييمث على الأسى ، وبعضها يكتشفه الأمل ، وبعضها يستدر العطف . لوحات فنية رسمها كل منهم بريشته الخاصة وتفكيره الخاص فأخرجوا منها مجموعة يصح أن تزن مرضاً . لقد كشف ذلك الكتاب عن أسرة تعيش في دنيا